إبراهيم محمد الجمل

حقيقة السحر

دراسة في ظلال القصص القرآني والسيرة النبوية

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ...

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ...

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الوعد الأمين ؛

أما بعـــد ...

فهناك مسائل تختلط على الناس . . وحقائق خافية يحاول بعضهم الاستناد إلى الوهم لنفيها .

والحق أن عصرنا – الذى ماج بالفتن واضطرب بالمشكلات – اضطر فيه كثير من الناس إلى الذهاب إلى العرافين والكهنة ، وظنوا أنهم بذلك يحققون مآربهم أو بعضاً منها .

ولقد أصدرت منذ زمن قريب كتاب « الحسد . وكيف نتقيه ؟ » . وقلنا إن الحسد لا يصيب المحسود بضرر إلا أن السحر يصيب المسحور .

ذلك أن الحسد إنما يحدث بقوى الإنسان وطبيعته . . أما السحر فهو عقد مبرم بين الشيطان والإنسان على أن يقوم الثانى بعبادته

والكفر بالخالق — جل فى علاه — وسب الأديان وتنفيذ كل ما يأمره به . . مقابل أن يحقق الطرف الأول مآربه وبغيته فى الإضرار بالناس .

لذا كان السحر من أكبر الكبائر يوضحها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ . قال : السحر ... إلخ » . ثم عد بقية السبع .

* * *

وإذا كان الساحر لا يستطيع أن يغير حقيقة الأشياء إذ لا يمكنه أن يحول المدر ذهباً . . ولكنه يخيل للمسحور انه ذهب إلا أنه حقيقة واقعية ملموسة لابد من دراستها ودراسة طرق إبطالها .

ولما كان السحر حقيقة ظن بعض الناس صحة ما يقوم به المشعوذون والنصابون والأفاكون الذين اتخذوا السحر ستاراً باطلا للنصب على الناس وابتزاز أموالهم .

* * *

والذى نطمئن به القارئ أن السحر الحقى والسحرة الحقيقيين أو الأصليين ، قد اختفوا من وسطنا منذ خمسة وسبعين عاماً على الأقل ولا يوجد منهم الآن فى الشرق أو الغرب إلا النزر القليل جداً لا تزيد نسبتهم على واحد فى كل عشرة ملايين نسمة .

والسحر ذكرته الكتب السماوية وخلفه البابليون والهنود

والصينيون وغيرهم فى كتاباتهم ونقوشهم وتماثيلهم وآثارهم . . وحوته سجلات وملفات المحاكم فى انجلترا وفرنسا وإيطاليا وبولندة وروسيا وأسبانيا والبرتغال وغيرها . . وورد فى اعترافات السحرة والساحرات عند محاكمتهم وما خلفوه وراءهم من مواد وأدوات وعقود ومواثيق أبرموها مع الشيطان ومازالت محفوظة بالمكاتب العامة أو المتاحف .

ولما كان هذا العلم ممقوتاً عند جميع الأديان ، مكروهاً من البشر لما فيه من الضرر البالغ ولما يشترطه من توجه الساحر لنجاح عمله إلى غير الله ، فقد قلت الكتابة فيه قديماً خصوصاً بعد نزول الكتب السماوية وانتشار الأديان وتعاليمها وفرائضها . . وخاصة بعد نزول الإسلام بطرق إبطالها لكونه منهجاً عاماً يحكم حياة البشر فلا يضلون ولا يضللون .

وأيضاً لما كان ينتظر الساحر والساحرة من جزاء صارم يصل إلى حد الشنق عند افتضاح أمره ولذلك كانت السحرة تزاوله فى الخفاء .

* * *

ولأهمية قضية « السحر » الذى شغل الأذهان وسيشغلها . . أردنا أن نفهم حقيقته وأسبابه ونصل إلى معرفته وجلاء أسراره ليهدأ بالنا وتزول حيرتنا . . ولندفع الشك باليقين .

فجعلت الباب الأول منه فى « نزعة الشر عند الإنسان » ، لأن الساحر لا يصل إلى درجة السحر إلا إذا وصل إلى قمة

الشر . والباب الثانى فى « دافع السحر » . والباب الثالث فى حقيقته وعمل السحر ، والساحر وكيف يلقى من الامتهان والتعذيب ليصبح ساحراً . والباب الرابع فى أحكام السحر . . وحكم الساحر فى الإسلام . وحكم إتيان الطرف والكاهن . والباب الخامس فى معرفة كيف نبطل عمل الساحر . . فلا يصيبنا سوء . . وبذلك تتضح قضية السحر .

أسأل الله رب العرش العظيم أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى صحائف أعمالى يوم لا ينفـــع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأن يوفق المسلمين للعمل بكتابه وسنة رسوله الكريم ، وصلى الله عليه وسلم .

إبراهيم محمد الجمل

غرة صفر سنة ١٤٠٣هـ.

الباب الأول

غريزة الشر عند الإنسان

* دوافع وصول الإنسان إلى الوحشية
* السحر وصول إلى قمة السر .
* نوازع الشر نتيجة انقياد النفس وراء الهوى .
* علاج الإسلام لنزعات النفس الشريرة .

غريزة الشر عند الإنسان

تتنازع البشرية من أجل حياة أفضل . . وتتباين معالم الطبيعة لتخدم فئة من البشر وتحط من شأن فئة أخرى . . وتتغير الظروف لتكون على حساب أناس . . ولتساعد أناساً آخرين . . وتتبدل الأحوال سواء أغيرها الإنسان . . أم تغيرت رغماً عن أنفه لتباين أفعال الناس وسلوكهم ومعالم تفكيرهم . . فتجد لكل منهم طريقة تكاد تتوحد لتكون سلوكاً معيناً .

فالدنيا فى صراع يعرفه أصحاب الأحوال ، وأولو الأمزجة والطبائع التى تتطلع إلى حياة أفضل (كما يرونها) .

الكل يريد أن يرقى إلى المجد . . والكل يحاول بذل الكثير فى سبيل شقة فاخرة أو سيارة فارهة أو مركز اجتماعى يعلم تماماً زواله . . وما أقرب الغد ! وما أسرع الأيام ! .

ونجد أناساً لا حول لهم ولا قوة يرضون بحياتهم . . فيلبسون الفقر درعاً ويحملون المر مصطفاً . . وآخرين لا يريدون أكثر من المعيشة بالكرامة والعزة . . فيسلمون أمرهم . وهؤلاء لا ندخلهم فى بحثنا عن وحشية الإنسان .

أما الذين يريدونها بشدة ولا يعرفون مرارتها وسقمها

ويتعجلون إتيانها فيلجأون إلى الشر بدرجته التى لا يصل إليها إلا كل متعنت خرج عن الإنسانية والرحمة .

فكان الإسلام على حق حينما دعا إلى الوسط فى كل شىء ونهى عن الإفراط فى كل شىء . . فضرب بذلك مثالا للتربية التى تقوم على أسس علمية من خلال معرفتها بغور النفس البشرية . . والله بارئها . . وهو الذى لا يخفى عليه السر والعلن .

ويصل الإنسان إلى قمة الشر حينما يبتعد عن منهج الله رب العالمين . . فيتحكم فى سلوكه الشيطان ويسيطر على فعاله فيقع فى الهـــاوية .

وربما يصل إليها فى — لحظة غضب — ولكن لا يعفى من المسئولية إذ أنه هو الذى تركها يقودها شيطانه ويوجهها تجاه ما يريد .

والوصول إلى قمة الشر إهلاك للمجتمعات البشرية ، وعقبة فى سبيل تقدمها وازدهارها ، وعرقلة لنمو الوعى القومى والفكرى والارتقاء بالنفس البشرية . . فالشر فى المجتمع يفرض على أصحاب الفهم البطىء أنهم يحاولون تقليد هؤلاء إما للوصول إلى عزتهم — كما يتخيلونها — أو لمواجهتهم لئلا يصابوا بسوء .

ولذلك كان ينبغى علينا أن ندرس نزعات الشر عند الإنسان ، وكيف نعالجها ؟ وكيف عالجها الإسلام ، بإحكام منهجه ، وسبيله فى التربية .

* * *

ومما لا شك فيه أن السحر وصول إلى قمة الشر . . لأن الساحر يتجرد من عواطفه وأحاسيسه وإنسانيته وما سار عليه الناس فى حياتهم ، بل يتجرد من الرابطة التى بينه وبين خالقه فيجحده ويكفر به (ويسبه) ولذا كان السحر من أكبر الكبائر .

ولذا كان لابد للإنسان أن يعى نفسه فلا يتركها تنقاد وراء الهوى حتى لا تضل — فالانقياد بداية الطريق الذى يوصل بعضه إلى بعض فيؤدى فى نهايته إلى الوحشية . . فيمكن أن يكون ساحراً أو قاتلا أو زانياً أو عاقاً ... إلخ .

فعلى المؤمن الذى يريد أن يحافظ على ماء وجهه أن يعى ذلك فيجعل قلبه ونفسه دائماً صافيين طاهرين . . باتباع طرق علاج مرض القلب وتقويم النفس وإلزامها ووعظها وزجرها .

ويجب على المؤمن أن يعلم مرض القلب وكيف يمرض وما الذى يمرضه وبذلك يستطيع علاجه بتزويده بكثرة الذكر والدعاء والالتزام وطلب الرحمة . وهاكم تعريفاً عن مرض القلب .

* * *

القلب السليم : هو الذى سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى : إرادة ، ومحبة ،

وتوكلا ، وإنابة ، وإخباتاً ، وخشية ، ورجاء ، وخلص عمله لله ، فإن أحب أحب فى الله ، وأن أبغض أبغض فى الله ، وإن أعطى أعطى لله ، وإن منع منع لله . ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتمكين لكل من عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيعتقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والاقتداء به وحده ، دون أحد فى الأقوال والأعمال من أقوال القلب ، وهى العقائد ، وأقوال اللسان وهى الخبر عما فى القلب ، وأعمال القلب ، وهى الإرادة ر غبة والكراهية وتوابعها وأعمال الجوارح ، فيكون الحاكم عليه فى ذلك دقه وجله هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

القلب الميت :

هو القلب الذى لا حياة به ، فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ، ويرضاه ، بل هو واقف مع شهسواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فهو لا يبالى إذا فاز بشهوته وحظه . رضى ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله : حباً ، وخوفاً ، ورجاء ، ورضاً ، وسخطاً ، وتعظيما ، وذلا ، ان أحب أحب لهواه . وإن أبغض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منع منع لهواه ، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه . . فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سائقه ، والغفلة مركبه ، فهو بالفكر فى تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، وبسكرة الهوى

وحب العاجلة مخمور ، ينادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد ، فلا يستجيب للناصح ، ويتبع كل شيطان مريد ، الدنيا تسخطه وترضيه ، والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه ، فهو فى الدنيا كما قيل فى ليلى :

عدو لمن عادت ، وسلم لأهلها
ومن قربت ليلى أحب وقربا

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ، ومعاشرته سم ، ومجالسته هـــلاك .

* * *

القلب المريض :

قلب له حياة وبه علة ، فله مادتان ، تمده هذة مرة ، وهذه أخرى . وهو لما غلب عليه منهما . ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه : ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات وايثارها والحرص على تحصيلها ، والحسد والكبر والعجب ، وحب العلو والفساد فى الأرض بالرياسة : ما هو مادة هلاكه وعطبه . وهو ممتحن بين داعيين : داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة . . وداع يدعوه إلى العاجلة ، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً . وأدناهما إليه جواراً .

فالقلب الأول : حى مخبت لين واع . والثانى يابس ميت ، والثالث مريض : فإما إلى السلامة أدنى ، وإما إلى العطب أدنى .

وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة فى قوله :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » (١) .

فالقلب المريض هنا : إن غلب عليه مرض التحق بالميت القاسي ، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم .

فما يلقيه الشيطان فى الأسماع من الألفاظ ، وفى القلوب من الشبه والشكوك : فتنة لهذين القلبين ، وقوة للقلب الحى السليم ، لأنه يراد ذلك ويكرهه ويبغضه ، ويعلم أن الحق فى خلافه ، فيخبت للحق ويطمئن وينقاد ، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان ، فيزداد إيماناً بالحق ومحبة له وكفراً بالباطل وكراهة له ، فلا يزال القلب المفتون فى مرية من إلقاء الشيطان ، وأما القلب الصحيح السليم فلا يضره ما يلقيه الشيطان أبداً .

قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعرض الفتن على القلوب تعرض الحصير عوداً عوداً ،

---

(١) الحج : ٥٢ – ٥٤ .

فأى قلب أشر بها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين : قلب أسود مربادّاً كالكوز مجخياً ، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه ، وقلب أبيض فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض » أ.ه.

فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً تعرض عيدان الحصير ، وهى طاقاتها شيئاً فشيئاً ، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين : قلب إذا عرضت عليه فتنة أشر بها ، كما يشرب الإسفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس ، وهو معنى قوله « كالكوز مجخيا » أى مكبوباً منكوساً ، فإذا أسود وانتكس عرض له من هاتين الاثنتين مرضان مترامیان به إلى الهلاك . أحدهما : اشتباه المعروف عليه بالمنكر ، فلا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، والحق باطلا ، والباطل حقاً . الثانى : تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وانقياد للهوى واتباع له .

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان ، وأزهر فيه مصباحه . فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها ، فازداد نوره وإشراقه وقــــوته .

والفتن التى تعرض على القلوب هى أسباب مرضها ، وهى فتن الشهوات ، وفتن الشبهات ، فتن الغى والضلال ، فتن المعاصى والبدع ، فتن الظلم والجهل ، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة ، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد . وقد قسم الصحابة رضى الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة ، كما صح عن حذيفة بن اليمان :

« القلوب أربعة : قلب أجرد ، فيه سراج يزهر ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أغلف ، فذلك قلب الكافر . وقلب منكوس فذلك قلب المنافق . عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمى . وقلب تمده مادتان : مادة إيمان ، ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهمـــا » أ.هـ.

فقوله « قلب آجرد » أى متجرد عما سوى الله ورسوله ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق . و « السراج يزهر » وهو مصباح الإيمان : فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغى ، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان ، وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر ، لأنه داخل فى غلافه وغشائه ، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان كما قال تعالى حاكياً عن اليهود :

« وقالوا قلوبنا غلف »(١) .

وهو جمع أغلف ، وهو الداخل فى غلافه ، كغلف وأغلف ،

---

(١) البقرة : ٨٨ .

وهذه الغشاوة هى الاكنة التى ضربها الله على قلوبهم ، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله . فهى أكنة على القلوب ووقر فى الأسماع ، وعمى فى الأبصار ، وهى الحجاب المستور عن العيون فى قوله تعالى :

« وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه فى آذانهم وقراً » (١) .

فإذ ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة ، ولى أصحابها على أدبارهم نفوراً »(٢) .

« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » (٣) .

* * *

فتلك هى أقسام القلوب . . فتبين نفسك على أى حال منهم . . واحذر الهوى فإنه يؤدى إلى التخبط بين الظلمات فلا يرى الإنسان ما أمامه .

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله

---

(١) الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (١٨) جـ ١ الحلبى .

(٣) الأنعام : ١٢٢ .

يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء » (١) .

وبذلك يشرح الله صدرك للإسلام . . ويطمئن للإيمان .

* * *

وعندما يضل الإنسان يتخبط وسط الظلمات فيصل إلى قمة الشر ، فالعاقل من حافظ على ماء وجهه والزم نفسه تقوى الله ليرق قلبه وتصفو روحه وتزكو نفسه . . فيكون فى عليين وهو بين البشريين . . نسأل الله أن نكون منهم . .

---

(١) الأنعام : ١٢٥ .

الباب الثاني

دوافع السحر
بين الإسلام .. والعلم الحديث

* الحالة النفسية دافع من دوافع السحر .
* اليأس المطلق دافع من دوافع السحر .
* حب السيطرة والمناصب دافع من دوافع السحر .
* المادية . . . دافع من دوافع السحر
* إفلاس الحضارة الأوربية روحياً دافع من دوافع السحر .

دوافع السحر
بين الإسلام .. والعلم الحديث

الحسد والتنافس والتكالب على القوة وحب السلطان والمال والجشع والطمع وحب الشهوة والانتقام والمكائد والدسائس وغيرها التى كانت تعيش فيها هذه البلدان كل هذه كانت فى حاجة ماسة للسحر لتحقيق أغراض ذوى المآرب .

فقد كان لكل ملك أو أمير أو أميرة الساحر أو الساحرة الخاص الذى يقوم بخدمتهم ويحقق لهم أغراضهم . .

ففى انجلترا استعانت الليدى (اليانور كوبهام) بالساحرة (مارجريت جوردومان) للتأثير على دوق همفرى فوقع فى غرامها وتزوجها رغم العقبات ، والصعاب الشديدة التى عاقت هذا الزواج سواء من جهة المال أو جمال الخلقة إذ أن الليدى كوبهام كانت مشهورة بدمامة شكلها . .

كما أن دوقة بدفورد استعانت بالساحرات والسحرة للتأثير على الملك أدوارد الرابع وما زالت تسحر له حتى تزوج كريمتها الليدى اليزابث جراى .

ومن الساحرات العاتيات فى تاريخ بريطانيا (آنابولين) زوجة هنرى الثامن الذى عقد عليها زواجه رغم أوامر الكنيسة ومعارضة رجال الدين وغضبهم عليه ، ولذا كان أول عمل أتته هذه الشيطانة بعد زواج الملك أن تخلصت تدريجياً من هذه الطائفة ونفـــوذها .

وكانت هذه الأبليسة مع جمالها الفاتن من أقسى وأشا الساحرات الراسيات اللائى تحدث عنهن تاريخ المملكة المتحد فكانت لا تتورع ولا تتردد عن ارتكاب أبشع الجرائم وأرذ بطريق السحر فى سبيل إعلاء كلمتها وفرض سلطتها على الملك وبا حاشيته . . وكانت تلجأ فى معظم الحالات إلى قتل ضحاي بواسطة السموم التى لا تظهر لها أعراضاً على الضحايا ويقال إن ه السموم أو السميات كانت تصنعها لها خصيصاً الشياطين و الذين يتولون دسها فى طعام أو شراب من تريد التخلص منهم .

ويذكر المؤرخ Brower أنها فى ليلة واحدة تخلصت يزيد على أثنى عشر كاهنا وأسقفاً وقسيساً ومن بينهم الكار Ion Fialer فقد وصلتها الأنباء بأن الكاردينال المذكور وليمة غداء لزملائه رجال الدين وتمكنت الشياطين من دس لهم فى الحساء على شكل مسحوق أبيض لاطعم له ولا لون أتى على الجميع .

وكان زوجها (هنرى الثامن) عاجزاً تماماً على مناه أو الوقوف فى طريقها أو معاقبتها أو مقاومة سحرها الجه

الشيطاني وكان يقصر همه على التذمر أو التضجر من أعمالها ولا يدعوها إلا باسم (المرأة الشيطانة) حتى لاقت حتفها وبالكشف عن جثتها وجدت بها علامة الشيطان مدموغة فى مكان ما بظهرها .

« وكانت نبيلات فرنسا ونبلاؤها وكبار رجالها المغرمون بالسحر لدرجة كبيرة كان لكل نبيل أو نبيلة أو رجل عظيم ساحره الخاص أو ساحرته الخاصة التى تقوم بالخدمات السحرية نقط نظير ما يغدقونه عليهم من الأموال والهبات وكانوا موضع حمايتهم والدفاع عنهم وتخليصهم من يد القانون . . ومن هؤلاء العظماء الذين يحدثنا عنهم تاريخ فرنسا الكاردينال (ريشليو) الذى عين لخدمة عدد من أكابر السحرة استطاع بواسطتهم من التغلب على أعدائه وإخضاع الكثيرين له حتى أفراد العائلة المالكة كما استعان بهم أيضاً فى الخلاص من كل من كان يقف فى طريقه أو يعارضه .

ولا عجب فإن حياة الأسر المالكة فى هذه العصور وما كان يحيطها من عوامل الدسائس والمكائد والجشع والأطماع وحب السلطة والشهوة والانتقام كل هذا ألقى بالنبلاء والزعماء فى أحضان السحرة والساحرات لتحقيق مآربهم ورغباتهم (١) .

* * *

---

(١) كتاب السحر (٢٣) محمد محمد جعفر (الأنجلو المصرية) .

كما أن الفراغ الفكرى والحاجة إلى الاستناد إلى الأقوى والإحساس بالضياع وراء تعلم الإنسان السحر . .

ومثال ذلك راهبة قرطبة – والرهبانية إلقاء بالإنسان إلى الفراغ الفكرى والتشتت العقلى والذهنى والإغراق فى حقائق وهمية يعلمها كما يعلم الماء والنار والقرطاس وكما يعلم حاجته للطعام والهواء . . .

والنتيجة تعلم هذه الراهبة ما علمته من طمس الحقائق عند إخواننا المسيحيين وتزيينها ومحاولة الإقناع بالذراع والقهر – نتيجة ذلك تعلمها السحر وعشقها كما يلى :

يذكر التاريخ حادثة الراهبة « ماجدلين دى لاكروز Magdelen de la Cruz » التى دخلت دير سانت ايزابل دى لوس انجلوس بقرطبة وهى فى سن السابعة عشرة . . فقد كان يحدث لهذه الراهبة منذ دخولها الدير نوبات يغمى فيها عليها وتتكلم وتتنبأ بحوادث تتم بعد بضعة أيام وتأتى من الأعمال الغريبة ما أدهش الناس فذاع أمرها بين أهل أسبانيا وصارت موضع احترام وتبجيل جميع الطبقات حتى عدوها فى مصاف القديسات . وكان يشك فى أعمالها وتنبؤاتها الكاردينال جوان دى أمنيل ، وكان ملماً بالعلوم الغامضة وأساليبها ودرس كثيراً عن الشياطين وظواهر أعمالهم فلم يصدق كل ما كانت تأتى به هذه الراهبة من أعمال خارقة ولم يعتبر مصدرها قوة الهبة بلى على العكس اعتبرها مساً من الأرواح الشريرة . . واستمر الحال مع الراهبة مدة

تسعة وثلاثين عاما حتى مرضت واشرفت على الموت فاعترفت بين دموعها الغزيرة أنها منذ دخولها الدير كانت تعمل تحت سلطة وبأمر وإرشاد روحين شريرين اسمهما (بوتور بووبالبان) وكان يظهران لها على هيئة رجلين من المغاربة وكانت هذه الراهبة عشيقة كل منهما . . وهما اللذان علماها خفة اليد وشغل الحواة وكانا يخبرانها بالحوادث القادمة وغيرها مما أثار دهشة الأسبانيين . .

ويعلق المؤرخ (بودين) على هذه الحادثة بقوله : إن ماجدلين المذكورة لابد أن تكون ابنة إحدى الساحرات الكبار التي وهبتها عند ولادتها للشيطان وهذا أمر كان كثيراً ما يحدث بين الساحرات خصوصاً إذا عمل كل أفراد العائلة بالسحر (١) .

ومما لا شك فيه أن ماجدلين هذه أخفت كثيراً من الحقائق التي تعرضت لها ، فرأينا فيها أنها ساحرة وإلا فكيف تتصل بالأرواح الشريرة هذه . . إلا لأنها كانت بعيدة عن الناس لم ترض أن تؤذى أحداً لانغلاقها فى ديرها . . وربما كان تسحرهم وكذلك البعيدين عنها ولكنهم لم يعرفوا حقيقتها كما هو ظاهر من خلال سرد الحادثة .

* * *

فترى أخى القارئ أن السحر قد انتشر وذاع صيته فى أوربا ، وأوربا بالذات خاصة بعد الإسلام . . وخاصة بعد ما يسمى

---

(١) السابق (٧٤) .

بالحضارة الغربية الحديثة . ذلك أن حضارتهم أقد أفلست فعاشوا في تناقض رهيب فأحس الناس بالضياع فاتجه من اتجه منهم إلى السحر أو الشعوذة أو الضحك على نفسه . .

وها كم بعض تناقض الأوروبين .

« فالغربي إنسان غير مفهوم ! فقد كفر الأوروبيون بالحياة في الحرب بعد أن جنوا في وقت السلم وهم لم يذكروا السلم في زمن الحرب كما أنهم لم يذكروا الحرب في فترة السلم .

لم يتخذوا من قانوني الحياة والموت حداً وسطاً يقيمون عليه حياتهم وما استخلفوا عليه من حياة الآخرين ، فيعيشوا على كفتي ميزان متعادلتين آخذين خطاً صالحاً يعدل السلام ويعدل الحرب .

هم فجروا في فترة السلم : فتشهوا ، وكفروا ، وعبدوا ، واحتقروا الضعيف ، وشرهوا للمال ، وغصبوه من أفواه الآخرين بالحديد والنار ، وخانوا أمانة الاستخلاف على الأرض ، وتنازعوا على الطعام الكثير كما يتنازع الأطفال غير المهذبين !

وهم فجروا في هذه الحرب ، فلم يراعوا حرمات الحياة الإنسانية التي قدستها الأجيال : فصبوا العذاب على الأطفال والنساء والمستضعفين والمرضى وسكان المعاهد والمعابد المسالمين ، وحرقوا الأقوات والأرزاق والمأوى . . فحياتهم لا تحتمل ولا تستحق العمل بعد هذه الحرب إذ أصروا على أن يلجأوا لحرب أخرى بهذه الكيفية النكراء التي تدمر ما عمروا وعمر الناس .

من يصدق أن أوربا البانية العاملة المعمرة المخترعة العابدة للحياة الساعية الجاهدة فى سبيل الكشف والمال والاختراع الباحثة المنقبة عن خبايا الأرض وركازها ، الرائدة الكاشفة عن مجاهلها، المبشرة بالمثل العليا بين الأقوام المتخلفة ، القاضية على تجارة الرقيق ، الحاملة للتجارات والمعلومات ، الواصلة بين أقطاب الأرض صلة اللاسلكى والراديو والتليفزيون — المرسلة — المرسلين — لهداية الوثنيين ، الدارسة للأنواع والأجناس . . هى هذه المخربة المدمرة الباطشة بطش النمور والأسود ، القاسية على النساء والأطفال والضعفاء ، المفتنة فى وسائل الآلام ، الهدامة للدور ، المحيلة عمار المدن إلى خراب القبور ! .

* * *

الأجسام العاجية الجميلة تذوب وتصهر وتسحق عظامها وجماجمها تحت أثقال الحديد والجلاميد . . . !

الوجوه المشرقة البيضاء ذات العيون الزرقاء ، والشعور الذهبية ذهبت قرابين تأكلها النار باختيارها .

مسكينة ! طافت فى جميع بقاع الأرض تجمع الذهب ، الأصفر « والذهب الأسود » والحديد ، ثم أوقدت على الجميع النار واحترقت معه !

جمعته فى أنانية وجشع واعتزاز واعتزام . . لا لتملأ البطون الفارغة وتكسو الأجسام العارية ، وتعين أبناء الحياة على نوائب الحياة ، ولكن لتملأ أفواه المدافع وبطون المقابر . . !

خلاصة الإنسانية العاملة المجاهدة المتاجرة المحاربة العالمة ، تحترق الآن على مشهد من الزنوج والاسكيمو !

الحياة تتحطم بأيدى بنائيها ومقيمى صروحها العالمية وجامعى مواد بنائها من لحومهم وعظامهم ودمائهم وذهبهم وحديدهم ونور عيونهم فى المعامل والمعاهد ! . .

الغادة اللعوب الفاتنة ذات المساحيق والأصباغ والعطور والأزهار واللؤلؤ والديباج « المانوكير » تتكشف عن العجوز الشوهاء والدرواء المريضة الرسحاء ، ساكنة الكهوف والمغارات ، الضاربة على الدف لشن الغارات ! . .

الأم العاقلة العالمة ، تصيبها جنة وجهالة فتأكل بناتها وبنيها ! . .

لندن وبرلين يصب عليها الخراب والدمار صباً فيباد ما فيهما من مراكز نمو الحياة و «علب» أسرارها «وتمائم» أجنتها وولائدها !

والإنسانية الجاهلة الغافلة المقيمة بالأكواخ فى القارة السوداء وأوسط التبت ترى هذه الإنسانية العالمة المديرة الجميلة تشن الغارة على الحياة بالزلازل والبراكين والصواعق الصناعية . . . فتحمد الله على الحياة فى الغابات مع الأسود والقرود التى لا تلتقم منها إلا أفراداً ! (١) .

* * *

---

(١) أو من بالإنسان للأستاذ : عبد المنعم خلاف (٢٠٧) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

لقد بنى الغربيون حياتهم على مناعة الأجسام وحدها من أمراضها ولم يبحثوا عن وسائل مناعة الأرواح من آفاتها ، فأخذوا الحياة من جانبها الضعيف ، وتركوا الجانب الآخر ، وقوانين الطبيعة لا ترحم من يخالفها ولا تحابيه ، بل تدافع عن وجودها وتهدم من يحاول هدمها . .

فمن يدع ثغرة فى بناء الحياة من غير سدها ، أوشك أن يدخل منها إلى البناء ما يأتى عليه من القواعد ، ويجعله خاوياً على عروشه .

وكان جديراً بالإنسان الأوربى الذى يعرف حجم الميكروب الصغير وخطورة آثاره ، فيحترس منه ويقيم الأرصاد والجواسيس خشية اقتحامه عليه ثغرة من ثغرات جسمه ، أن يعرف أن للحياة الروحية جراثيمها الفتاكة ، فيجاهد لكفاحها وقتلها كما يفعل بأخواتها جراثيم الأجسام حتى تسلم جميع قواعد بناء الحياة من أسباب الانهيار .

ولكنه لم يعرف بعد ! الجراثيم الروحية ، ولا يزال روحه يعيش فى عصر التطبيب بالخرافات ، كما كان يعيش فى عصر الخرافات فى طب الاجسام .

والحـــق أن هذه الأحداث والخراب الفكرى والإفلاس الحضارى محا كثيراً من الظنون الواهمة ، وصحح الأفهام الفاسدة ، وكشف عن الأبصار غطاء التموية وسحر التخييل ، فإذا بالأروبيين يعودون إلى المعانى الأزلية الخالدة التى بزغت من قلوب أبنيائها ،

واستنزلوها من السماء بالإخلاص والبكاء لرب الحياة الذى وضع الإنسان فيها موضعه بين الأهوال والألغاز والأسرار .

فإذا النظم الأروبية الظالمة الجائرة المتحجرة تذوب تحت حرارة أنفاس الدعاء إلى السلام والحق والعدالة . . بعد ما رتلت ترتيلات بالحق والعدالة .

فرجوع الأوروبيين شيئاً ما — وإن كان — جوعاً إلى فساد — إلا أنه يلزمهم شيئاً من الالتزام والبعد عن الأخلاقيات المذمومة فيبتعدون بذلك عن قمة الشر . . التى عندها يعمل الإنسان بالسحر .

ولذلك نجد أن السحر قل فى زماننا لهذا الأمر . . وكان قد انتشر قبله لانتشار المجون والفراغ الفكرى . . رغم أن الحضارة الأروبية ما زالت مفلسة ، ورغم أنها هوت تحت ضربات الزمان .

الباب الثالث

حقيقة السحر

* تاريخ السحـــر .
* علاقة السحر بالخير والشر .
* صانع الألعاب (الحاوى) .
* سبب تأثير السحر .
* من هو الساحر ، وكيف يكون ، وماذا يعمل ؟
* كيف يقابل الساحر الشيطان ؟
* تعميد الساحر ، تعميد الساحرة .
* العقد المبرم بين الساحر والشيطان .

حقيقة السحر

١ – تاريخ السحر :

زاول الساحر (زوروستر) السحر فى بلاد الفرس قبل ظهور المسيح بخمسة آلاف عام . ويعتبر هذا الساحر واضع طرق السحر وأسسه التى سار عليها الكنعانيون والمصريون والهنود وغيرهم.

وكان لكل فئة معتقد خاص يعتقده فى القوة السحرية فمنهم من يعتقدها فى القطط والكلاب ، ومنهم من يعتقد فى الطيور الصغيرة .

ومن طريف ما يروى فى السحر بدماء الطيور ما حدث عندما تقابل جيش ملكهم (فلامنيوس) مع جيوش القرطاجيين بزعامة القائد (هانيبال) أن أمر (فلامنيوس) هذا رئيس السحرة بذبح أحد الطيور وعمل السحر اللازم الذى يضمن له هزيمة أعدائه : : ولما عمد الساحر إلى الطائر المقصود ، وقدم له الطعام قبل ذبحه ليجرى عليه سحره أبى الطائر الطعام فعد الساحر هذا دليلا على هزيمة قائده ، وعاد إليه يحذره من مغبة الهموم فى هذا اليوم على أعدائه ، ولكن القائد فلامينوس قهقه من كلام الساحر وسأله (وما العمل إذن إذا رفض الطائر الطعام اليوم وغداً وبعد غد ولمدة طويلة . . . ؟ (فأجاب الساحر أنه يجب على القائد الانتظار ،

ولكن القائد هزأ من نصيحة ساحره وأمره بذبح الطائر فوراً وعمل السحر حالا فرفض الساحر وكان جزاؤه القتل فوراً وأمر « فلامنيوس » جيوشه بالهجوم على القرطاجيين ودارت الموقعة حول بحيرة (تراسيمين) وقتل فيها « فلامنيوس » وخمسة عشر ألفاً من رجاله .

أما سحرة الكلدانيين فلقد اهتموا بدراسة الكواكب والنجوم .

ومن أعظم ملوك مصر الذين حكموهم فى آخر عصورهم الملك (نيكتابيبس) وكان ساحراً ضليعاً ، وامتد حكمه إلى عام ٣٥٨ ق . م .

وكانت الكلمة التى يستمد منها المصريون القوة لنجاح سحرهم تدعى (HE-KAW) وقد وجدت منقوشة على التعاويذ والطلاسم والجعارين وغيرها من آثارهم . . ووجد بورقة البردى رقم ١٢٢ المحفوظة بالمتحف البريطانى بعض التلاوات والرموز السحرية التى كان يستعين بها السحرة المصريون فى أعمالهم وطقوسهم .

ولا ينكر أحدنا ذلك السر الرهيب الذى أودع فيه قدماء المصريين لعناتهم على كل من ينبش قبورهم أو يسرق مخلفاتهم أو يعبث بمتحوياتها ، وليس بعيداً ما حدث للورد (كانارافون) والمستر (كارتر) مكتشفى قبر توت عنخ آمون فالأول توفى قبل انتهاء كشف المقبرة بعد ما حل به من المتاعب العائلية والخسائر المالية وغيرها ، مما أودى بحياته قبل تحقيق أمله . أما المستر (كارتر) فقد نجا من الموت بأعجوبة يوم اكتشاف المقبرة بالذات . . .

فقد كان يعتز بعصفور من نوع (الكناريا) يحتفظ به فى قفص بديع بمكتبه أو منزله قرب المقبرة . . وفى يوم اكتشافها التهمت أفعى كبيرة من نوع الكوبرا هذا العصفور وتربصت للمستر (كارتر) لتنهى أجله ولكن المستر (كارتر) لم يقصد مكتبه بعد الكشف بل عاد إلى القاهرة ليذيع النبأ وكلف بعض أتباعه بنقل أمتعته إليها . .

« وقد بذلت جميع الدول فى الممالك الغربية قصارى جهدها ومجهودها للخلاص من السحرة ففرضت عليهم أقسى وأشد العقوبات التى أخفها الشنق ونالتهم بالتعذيب والتنكيل والتشهير ومصادرة الأموال وإنزال العقوبات بهم وبذريتهم . . . فكانت كل من فرنسا وألمانيا وإيتاليا تحكم على السحرة بالإعدام حرقاً .

وفى اسكتلندا كانوا يعاقبونهم بإلقائهم فى إناء حديدى كبير مملوء بالقار المغلى وكانت انجلترا وبعض دول أوربا تعدمهم شنقاً أمام الجمهور ، وكان عقاب الساحر أو الساحرة فى أمريكا الاعدام شنقاً فى أقرب شجرة بالطريق وقد ذهب ضحية هذه الطريقة الكثير من الزنوج الأبرياء خصوصاً فى جنوب الولايات المتحدة فإذا سار قوم من البيض وصادفهم زنجى فى طريقهم أخذوه وشنقوه فى أول شجرة تعترض طريقهم متهميه زوراً بالسحر دون محاكمة .

وقد استعمل بعض الممالك طريقة (الخازوق) فى إعدام السحرة ، كما عاقبتهم دول كثيرة بطريقة (التشبيح) وطريقتهم فى ذلك أنهم كانوا يأتون بالساحر ويمدونه على مائدة كبيرة غليظة

مقسمة إلى أربعة أقسام منفصولة عن بعضها . ويفردون ذراعيه إلى أعلى بحيث يقيدون الذراع الأيمن فى ركن المائدة الأعلى الأيمن والذراع الأيسر فى ركنها الأيسر والقدم اليمنى فى الركن الأسفل الأيمن ومثلها القدم اليسرى ، ومركب بوسط هذه المائدة عجلة مصنوعة ومتصلة بالمائدة بطريقة مخصوصة حتى إذا ما دارت العجلة انفصلت أربعة أجزاء المائدة عن بعضها وتحرك كل جزء منها فى اتجاه مضاد للآخر فيتحرك الذراع الأيمن إلى الشمال الغربى والذراع الأيسر إلى الشمال الشرقى والقدم الأيمن إلى الجنوب الغربى ، والأيسر إلى الجنوب الشرقى . . وبهذا تتفكك أوصال عضلات ومفاصل الساحر وتسبب له من الآلام الفظيعة المبرحة ما لا تقوى عليه الأبالسة وتتسبب فى نهاية أجله بعد بضع دقائق ثم تؤخذ جثته وتحرق ويبعثر رمادها فى الشوارع .

ولكن أبشع وأقسى طريقة اتبعت لعقاب الساحر هى التى كانت تطبقها محاكم التفتيش بأسبانيا ، فقد أعدت هذه المحاكم غرفا مخصوصة مزودة بكافة آلات ومعدات التعذيب التى لا تخطر على بال البشر واطلقوا عليها « غرف التعذيب أو الاعتراف » فعند القبض على الساحر واعترافه مبدئيا بمزاولته السحر يؤخذ على رأى المثل (من الدار للنار) . . ويدخل غرفة التعذيب حيث تجرى عليه العقوبات التالية . .

يعلقونه من ساقيه بعد ربط يديه إلى جانبيه عجلة كبيرة بحيث تكون رأسه إلى أسفل ثم تدور هذه العجلة جملة دورات

عنيفة حتى إذا ما دارت وجعلته فى الوضع الصحيح أعنى انقلب وضعه وصارت رأسه فوق ورجلاه تحت يبدءون فى تقليع أظافر رجليه واحداً واحداً حتى إذا ما انتهوا من الأمر أداروا العجلة ووضعوه فى الموضع المقلوب الأول ثم يبدأون فى تقليع أظافر يديه واحداً بعد الآخر . . ثم تدور العجلة وتضعه فى وضع أفقى ويختارون من جسده الجهات الممتلئة باللحم والشحم كالكتفين أو الفخذين أو الساقين . . الخ ويشقون فيها طرقاً طويلة أو قصيرة حسبما يتراءى لهم ثم يصببون فيها الزيت أو القار المغلى . . . ثم يضعونه فى الوضع المقلوب الأول ويفقئون عينيه بمسامير كبيرة محماة وينهون هذا العذاب أخيراً بحرقه . .

ونظراً لهذا العذاب الأليم كانت لا تقرر الحاكم فى أسبانيا مجازاة الساحر إلا بعد اعترافه الصريح بمزاولة السحر بناء على اتفاق أو عقد أبرمه مع الشيطان ، وعلى الساحر أن يقرر هذا كتابة ويبين فى إقراره متى وأين عقد اتفاقه وما هى نصوص الاتفاق ومدته وعلى أية صورة كان يظهر له الشيطان وما هى المواد التى يستعملها فى سحره ومن يحضرها له ولمن كان يسحر ولصالح من ولضرر من وغير ذلك من الأسئلة التى لا تجعل محلا للشك فى نوايا الساحر أو عقابه زوراً .

وانتقل السحر من أوربا إلى آسيا ووصل إلى جزيرة جاميكا والأمريكتين . . وقد ذكر المستر (ى. ويليامز) عن سحر أهالى جاميكا وفنونهم فيه الشيء الكثير فى كتابيه .

Psychic Phenamena of Sahaica, vaoods & Cheah

الصادرين عام ١٩٣٢ و ١٩٣٥ على التوالى .

وما زال للآن فى الأمريكتين من يعملون فى السحر لوقتنا هذا . . . وقبيلة الأنكاس Inces مشهور أمرها بيننا وقد ذكر كل من الرحالة والمستكشفين الشىء الكثير عن طقوسهم ومراسيمهم واحتفالاتهم السحرية مما يشهد لهم بطول الباع فى هذا الأمـــر .

ورغم العقوبات وأنواع التعذيب التى فرضتها الحكومات الأجنبية على السحرة والساحرات إلا أن كل هذا لم يكن كافياً لشل حركتهم أو شوكتهم أو تخويفهم أو استئصال بذور الشر من نفوسهم وكانوا يعتقدون أنهم ببيعهم روحهم للشيطان لم يبق هناك روح لإزهاقها بمعرفة الحكومة بواسطة الشنق أو الحرق وغيرها من طرق الإعدام . . ولكن كان هناك نفر من السحرة المثقفين والمتنورين كأرباب الأعمال أو المال أو الأساتذة فكانوا خوفاً من الجزاء الصارم يسترون سحرهم بحجج باطلــة واهية إذ كانوا يدعون أن ســـحرهم موجه للأعمال الخيرية والإفادة مثل شفاء المرضى أو الإصلاح بين العائلات أو الأزواج أو الكشف عن أسرار الكنوز والعلوم المخبأة التى تنفع المدنية ويستفيد منها الناس ولذا كانوا يطلقون على عملهم هذا : السحر الأبيض White magic تفرقة له من السحر الأسود Black magic المقصود به الضرر . . ولكن كل هذا الادعاءات وكل هذه الحيل لم تأخذ بها الحكومات ولم يقرها القانون وقضوا على كل

حالاته بما لا يخرج عن كونه السحر الأساسي في نجاحه الاستناد إلى قوى غير طبيعية ، وأن الساحر نفسه يعمله ويهب نفسه القوة للتغلب على النواميس الطبيعية ونظمها ويدعى سلطته على عقول وقلوب ونفوس البشر ويمكنه أن يمسها بالضرر كلما شاء كما أنه يسخر الإنسان وجماده والحيوان والنبات والجماد لخدمته في أغراضه المشينة وكلها أمور تتنافى مع القدرة الإلهية .

وفي القرن الثامن عشر عندما ألغيت عقوبة الاعدام على السحرة واستبدلت بعقوبة الحبس البسيط أو الغرامة وجد الناس الفرصة الطيبة لمزاولة السحر وتعلمه والعمل به جهراً . وتكونت الأندية والجمعيات السحرية التي ضمت عدداً كبيراً من الرجال والنساء من مختلف الطبقات وأدى تخفيف العقوبة إلى رواج الدجل والشعوذة وكان ممن يخشى اللوم أو العتاب يدعى أنه يعمل في علم (الكيمياء) الذي اشتهر أمره في هذا الوقت . . وكان بعض السحرة في القرن المذكور يقطن بين القبور أو الأمكنة الوحيدة الموحشة ويتجسدون في أجساد الموتى ويسطون ليلا على الآدميين فيمتصون دماؤهم واشتهروا من هذا الوقت باسم مصاصي الدماء vampires

وزاد عددهم في فرنسا وروسيا والمجر وبولاندة ومنهم (دراكولا) المشهور الذي مثلت حوادثه في السينما . . . وراجت بهذه المناسبة الوصفات السحرية التي تحصن الشخص ضد شاربي

الدماء ومنها أن يأكل الشخص قبل نومه أو يبلع حفنة من تراب قبر حديث فيمتنع مصاصو الدماء عن زيارته . (١)

وفى أوربا — وفى القرن التاسع عشر والعشرين — انتشر السحر انتشاراً واسعاً وتعقب البوليس السحرة وما زال يتعقبهم ويفاجئهم .

* * *

علاقة السحر بالخير والشـــر :

* قال فى كتاب السحر :

(تعريف السحر هو العمل الذى يقوم به شخص معين تتوافر فيه شروط مخصوصة تحت ظروف واستعدادات غير مألوفة وبطرق سرية غامضة وذلك للتأثير على شخص أو جملة أشخاص رغم إرادتهم لتحقيق غرض معين له أو موصى به .

وحقيقة السحر وأساسه أن النفوس البشرية ، وإن كانت واحدة فى النوع إلا أنها تختلف فى الأوصاف والخواص والأصناف وكل صنف منها له خاصية أو جملة خواص معينة مميزة له ينفرد بها عن الأصناف الأخرى ، وفى ذلك حكمة إلهية عظيمة تدعو إلى تضامن هذه الأصناف المختلفة وتبادلها المنفعة فيما بينها وهو أمر لازم لاستمرار الحياة على الأرض .

---

(١) كتاب السحر / محمد محمد (الانجلو المصرية) (٣٢) .

ولكن اختلاف هذه الأصناف فى ميزتها ونوعها وكميتها وما ينتج عن هذا الاختلاف أصبح مصدراً لوجود الخير والشر منذ وهب المولى الإنسان الحياة .

ومن الأمور الثابتة المحققة الملموسة أن بين كل من الخير والشر وجنودهما وأتباعهما حربا ونضالا فى كل زمان ومكان ولكل مريدوه ومحبوه ومؤيدوه الذين يسعون إليه ويدعون له ويعملون به .

ونرى هذا التطاحن بينهما فى حياتنا اليومية وفى وسطنا الذى نعيش فيه وفى مطالب الحياة نفسها وميدان العمل وحقول التجارب القاسية التى تمر بنا والتى نتعرض لها يومياً .

ومن منا ينكر وجود الشر وتسربه وتغلغله فى كل صغيرة وكبيرة حولنا حتى أصبح الفرد منا ونحن فى أزهى عصور التقدم والمدنية ينام ويصحو وهو فى جو من الفزع الدائم والهم القائم والرعب الشديد على حياته وحياة عائلته من خطر الحروب والقنابل والقذائف والصواريخ التى تفتق عنها ذهن الشياطين ودليل عبقريتهم وكلها تؤدى بهذا العالم إلى الفناء . . . هذا فضلا عم تسببه الخلافات العائلية والخناقات الزوجية والمضايقات فى العمل وبين الأصدقاء وغيرها من أمور الصحة والمال والعيال وكلها عوامل من عوامل الشر) ا.هـ .

والشر له قوة هائلة مخيفة تظهر بمختلف الصور والهيئات ونراه فى بعض الأحيان ينتصر على الخير ولكن مما لا شك فيه

انه مهما عظمت قوى الشر ومهما طال أمدها محتم أن تحطمها عوامل الخير لأن عامل الشر من الأبالسة وعددهم قليل إلى الملائكة عمال الخير والإحسان . . . ويقولون إن الشر خادم للخير وأن الأوقات التي يفر أو يهرب من مخدومه ليسعى فى الأرض فساداً ويتسبب فى أذى الخلائق كما يكون لديك خادم يتمرد عليك أو يحنق على زوجتك فيتعمد كسر الأوانى الصينية أو الزجاجية ويلحق بك الشر والضرر بأى شكل .

والإنسان هو المخلوق الوسط بين الملائكة والشياطين وهذه حقيقة مؤكدة لأن منا من يشبه الملائكة جمالا وأخلاقاً وخلقاً ، ومنا من يشبه الآخرين قبحاً وسوءاً وفحشاً ورذالة . وإن لكل منا ملكاً يقف بجواره وشيطانا يقف بجانبه من الجهة الأخرى ولذا ينتابنا دائماً عاملا الخير والشر .

ومن الخطأ الفاحش أن نعتقد أن الشر عامل أعمى يوجه ضرباته كيف يشاء بدون حساب أو أنه يتخبط فى استعمال قوته الهائلة ويستغلها دون تفكير وروية . فالشر لا يأتى أبداً إلا بعد تدبير سابق وخطة منظمة يغذيها المكر وتهيأ لها الحيلة والمكائد والدسائس وغيرها من أسباب العمل والنجاح ولهذا نجد أن بعض ضرباته قاسية موجعة ، ألم تعرف أو تسمع عن رجل شرير حنق على آخر فدبر الخطة لاغتياله أو كاد له الدسائس فى عمله أو وضع العقبات فى طريق رزقه أو تسبب فى كساد تجارته أو خسارته المالية أو أوقع الضغينة بينه وبين أقرب المقربين إليـــه . . ؟

أو لم تعرف أو تسمع عن امرأة خبيثة شريرة نصبت شباكها حول رجل متزوج وخطفته من بين أحضان زوجته وأولاده أو كالت له التهم زوراً . . . ؟ أو لم تسمع عن الحروب والمجازر الآدمية التي تضيع فيها ملايين من أرواح البشر البريئة . . هل كل هذا يأتي عبطاً أم عن خطة مدروسة يجتمع لفحصها القواد ويحملون فيها ليل نهار مقدرين جميع الاحتمالات والفروض . . ؟

وكل أعمال السوء والشر سواء قام بها فرد أو جماعة مصدرها مخلوق واحد مسئول عن جميع نتائجها وهذا المخلوق هو « الشيطان » ويقول فى ذلك الفيلسوف «ريتشارد بيكر Davil R.Baker إن كلمة « الشيطان » ومعناها (Do-eveil) مأخوذة من جمع الكلمتين (Do-eveil) أعني اعمل الشر . . فالشيطان هو الذى يولد الشر ويهيء الزمان والمكان ويسخر لتنفيذه أعوانه من الأرواح الشريرة الخبيثة وطائفة من الآدميين . . . ولهذا المخلوق التعس عبقرية حادة وذكاء لا يقارن بذكائه أى إنسان مهما أوتى من العلم والفطنة . . وكلنا نعلم أن الشيطان عدو للإنسان والبشرية ولكل ما هو جميل وحسن ولذا كانت وظيفته الوحيدة تقتصر على إهلاك عدوه بمختلف الوسائل .

والشيطان — فى حد ذاته كمخلوق — قوى جداً ويمكنه أن يقتل أى فرد بمنتهى السهولة أو يعصف بمستقبله ويجعل حياته نكداً طوال العمر ويصيبه بنحسه ورجسه ويحيل عيشه جحيماً لا يطاق .

ولكنه مع كل هذا يعجز تماماً عن محو الحياة عن الأرض كما أنه يعجز حتما عن إجراء أى تغيير أو تبديل أو تعديل فى الأنظمة الطبيعية الدقيقة التى فرضها المولى لاستمرار الحياة . .

فالشيطان يعجز أن يبدل الليل بالنهار أو يؤخر الشتاء أو يقدم الصيف . لأن الأصل فى وجود الخلق هو بقاء الحياة واستمرارها ولذا اتخذت القدرة الإلهية كل الاستعدادات التى تكفل الحياة وبقاءها سواء كان للإنسان أو النبات والجماد .

وأول شر قام به الشيطان بعد أن عصى ربه أنه أغرى أو أغوى آدم وحواء وهما المخلوقان الوحيدان اللذان وجدهما أمامه فى هذا الوقت — لمعصية المولى وكان جزاء الجميع الطرد من النعيم والنزول إلى الأرض ولم ينقذهما الشيطان من ورطتهما لأنه مهما بلغ من سطوته فإنه يضعف أمام ذوى المراس والعزيمة الصادقة والأخلاق القوية والإيمان الغزير . . . ونزل الشيطان إلى الأرض وهو مبيت النية على إلحاق الأذى بجميع ذرية آدم لأنه وجد فى هذه الذرية تربة صالحة لبذر بذور الغواية واستعداداً طيباً للإنصات إلى همساته ووسوسته وإغرائه ووجد بينهم من يمكنه أن يضمه تحت لوائه نظير وعود كاذبة وأغراض مضللة لا تفيد وعند هبوط الشيطان إلى الأرض كان فى جعبته بضاعة وافرة مختلفة الأشكال والأصناف يجد فيها كل عاص عاصية حاجته وكل شرير وشريرة بغيته ، ومن هذه البضاعة حب القوة والسيطرة والجاه والسلطة

. والأنانية وحب المال والشهوة الجسدية والغيرة والعداوة والكراهية وانتقام والحسد والحقد والكذب والنفاق والخداع والفسق والجبن وغيرها من الصفات الذميمة التى إذا ملكت واحدة منها زمام الإنسان أوردته موارد الهلاك وأفسدت عليه حياته وسدت عليه سبل الراحة حتى يرضيها بأى شكل كان غير عابئ بالنتائج مع استعداد للتضحية بكل ما لديه ـ . فإذا ما بلغ الأمر من الإنسان هذا الحد من الوجد والضيق وشعر برغبة ملحة فى إشباع إحدى هذه النقائص وجد الشيطان فرصته للتدخل فى حالته ويدله على الطريق المعوج السقيم الذى يمكنه به تحقيق رغبته وإطفاء نارها المتأججة فى ضلوعه . . ولضعف كثير من الناس أمام الغواية نجدهم منصتين لهمسات الشيطان ويخضعون لأمره ما داموا يعتقدون أن فى هذا تحقيق ما يطلبون ومتى وقعوا فى مصايد الشيطان وحبائله التى يحيطها بدقة من خيوط سميكة غليظة انسد أمامهم باب النجاة والخلاص من براثنه .

ولما كان الإنسان يعيش فى حياته بين عاملى الخير والشر فإنه يحتار كثيراً فى معرفة سر وجودهما حوله ويتعذر عليه التمييز بينهما لأنه كثيراً ما ينتج الخير عن الشر والعكس صحيح فمثلا إذا رأى الطبيب إجراء عملية جراحية لمريض واستجاب المريض تخلصاً من آلامه وأوجاعه لأوامر الطبيب فإننا نرى هذه العملية الجراحية تسبب آلاماً مبرحة للمريض فهناك المخدر الذى يفقده وعيه والمشرط الذى يعمل فى جسده ويسيل دماءه والحقن كل فترة من

الوقت التى تقلق مضجعه غير ما تسبب له العملية من مضايقات مستمرة حتى يمن عليه المولى بالشفاء مع تعرضه فى كل دقيقة لخطر الموت إذا لم تنجح العملية . . وبطبيعة الحال فقدان المريض لوعيه وسيل دمائه ، وباقى الآلام شديدة قطعاً ولكن نتيجتها كل الخير عند شفاء المريض .

وكذلك نرى أن تأمر البلدية بهدم أو إزالة إحدى المبانى قهراً عن إرادة صاحبه فتسبب له خسارة فادحة فى الأموال وتسد عليه طريق إيراد ربما كان مورد رزقه الوحيد وربما عاقبته وسببت له من المضايقات ما يضيق به ذرعه ولكنها تأتى بكل هذه الأمور المؤذية للمالك حباً فى نجاة باقى السكان والمحافظة على أرواح المواطنين . . أو عندما تعدم الحكومة أحد المجرمين ، والإعدام هو الموت بعينه . وما لنا نورد الأمثلة على نتيجة الخير من فعل الشر ، وأمامنا الحروب ماثلة وهى فى رأس قائمة جميع الشرور والأضرار والتى يزهق فيها الملايين الأبرياء ولكن هــذا كله تقدم عليه الدول المحاربة نظير سلامة الآف الملايين من البشر والمحافظة على المدنية (كما يزعمون) . . وكذلك ينتج الشر من الخير . . فقد يحدث أن تأوى إلى منزلك فتاة يتيمه مسكينة محتاجة فتجازيك بسرقة ملابسك أو نقودك أو تتهمك تهماً باطلة يجوز لو صحت أن تعصف بمستقبلك . . أو يتدخل شخص لفض معركة فيصاب بطعنة من أحد المتشاجرين تذهب بحياته . أو تدفع ثمناً لبضعة تذاكر لحفلة خيرية مساعدة ومساهمة منك فى فعل

الخير إذا ما حان وقت الحفلة وتهيأت للذهاب إليها لا تجد هناك وتضيع عليك دراهمك نظير طريقـــة من طرق الاحتيال . . أو تسدى نصيحة لشقيقك أو جارك أو صديقك فيثور عليك ويرميك بالتدخل فيما لا يعنيك ويسمعك من التوبيخ والتقريع ما يعكر مزاجك وربما أدى إلى الشجار بينكما أو العداوة الدائمة. فكل هذه الحالات المذكورة لم يقصد بها إلا الخير ولكنها كلها أدت إلى الأذى والشر . .

ولما كان الشبطان وهو أكبر روح خبيثة شريرة . . ولما يراه الإنسان من كثرة شره ومساوئه اعتقد اعتقاداً راسخاً فى قدرة ومقدرة هذا الشيطان على أذى الخلق والحاق كافة الإضرار بهم

ولما كانت أغلبية الناس شغوفة بحبُ الأذى ولا هم لها إلا جلب النكد والنصب وإزعاج الغير . . فقد رأت فى الشيطان زعيما كبيراً ومرشداً عظيماً يلجأون إليه ويطلبون مساعدته كلما أعوزهم الأمر ، وكلما تارت أو هاجت فى نفوسهم غريزة فعل الشر وبذلك اتاحوا للشيطان فرصة التسرب إلى نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وهو غاية ما يريد وأعز ما يتمنى .

ومن هذه الكثرة من الناس فئة قليلة ذات عقول ضيقة ونفوس خبيثة لا تهوى إلا العمل فى الظلام وأذى الناس فى السر والخفاء بوسائل غير عادية لا يفهمها الآدميون ولذلك يزيدون من عذابهم وآلامهم . . ولم تجد هذه الفئة الضالة إلا الزعيم الكبير الذى يمكنه أن يشبع رغباتهم فارتموا فى أحضانه وأصبحوا من السحرة

الخاسرين . . ولما وجد الشيطان منهم هذه الغيرة العظيمة على تحقيق مآربهم ولمس فيهم تلك الشهوة الجامحة لإلحاق الأذى بالناس تجسد وظهر لهم بكامل صورته وهيئته حتى يروه رؤية العين ويلمسون جسده ويسمعون حديثه فيتأكدوا من وجوده تأكيدا تاماً وأنه حقيقة واقعة وأنه مخلوق مثلهم فيزيد هذا من ثقتهم فيه وإيمانهم فى مقدرته . . وظهر الشيطان لمريديه وطالبيه وعلمهم السحر وأبرم معهم العهود والعقود والمواثيق نظير مساعدتهم التى يلحون فيها واشترط عليهم نظير تقديم هذه المساعدة لهم أن يبيعوا له أرواحهم وكل ما يملكون وأن يدينوا له بالطاعة ولا يتوجهوا فى كل أمورهم إلا إليه . .

ولا شك أن الشيطان بصفته الأصلية عندما كان بين الملائكة كان أكثر معرفة وأحد ذكاء ودهاء من كل إنسان . . فهو قوى الملاحظة سريع البديهة والحركة لدرجة لا تتوافر لبنى البشر وهذا مما يسهل له معه الانتقال من هنا لهناك فى فترة قصيرة .. وله القدرة على أن يحل بجسد الأموات والأحياء فيصيبهم (بالمس) وتظهر عليهم لوثة الجنون أو البله والعته والعبط وتجعلهم يرغون ويزبدون كما نراه فى حالة المصابين بالصرع أو وسطاء تحضير الأرواح عندما تحل بأجسادهم أرواح شريرة (كما يدعون) وكما نشاهد فى حلبة الزار يتمايلون ويتراقصون ويتثنون ويترنحون ويتقصعون ويتمطعون كالسكارى المخمورين حتى يفقدوا وعيهم فيرتمون على الأرض يزبدون ويتكلمون بلغات غير مفهومة يقولون

عليها (لغة اللاوندى) — ولا أعلم للآن ولا أسمع عن ما هو اللاوندى — وربما كان اسم شيطـــان أو عفريت ولكنى لم أعثر حتى على ما يقارب هذا اللفظ فى المعنى . . ولا شك فى أن (الكودية) صاحبة الزار يمكنها أن تخبرنا عما يكون هذا اللاوندى وما هى صنعته .

أقسام السحـــر :

وينقسم السحر إلى ثلاثة أقسام :

١ — سحر يؤثر من تلقاء نفسه دون الاستعانة بواسطة الإنسان أو أية مادة حيوانية أو نباتية أو جمادية أو استعمال الحروف والأرقام والأجرام السماوية وهو يصدر من الشيطان نفسه أو أحد أعوانه الممتازين فيصيب ضحيته فجأة فى مالها أو صحتها أو نفسها وهو أقوى أنواع السحر « وسوف نبين علاجه أن شاء الله » .

٢ — سحر يقوم به الساحر بمساعدة وإرشاد الأرواح الشريرة مع استخدام جزء أو أجزاء من إنسان أو حيوان (حى أو ميت) أو نبات أو جماد وهو أضعف تأثيراً من الأول لأنه يدل على ضعف القوة المسببة له وعجز الساحر عن إتيانه من نفسه دون الاستعانة بروح خبيثة . . ومفعول هذا النوع من السحر لا يدوم إلا إذا تكرر عمله كثيراً ومن السهل علاجه أو إفساد عمله وبطلانه .

٣ — سحر يستعين فيه الساحر بقوة الحروف الهجائية والأعداد والكواكب والأجرام السماوية وذبذبتها وهو أصعب أنواع

السحر ولا يقدم عليه بتاتاً الآن أى ساحر لأنه يتطلب منه معرفة كبيرة صحيحة بكل ما يتصل بالكواكب واقترانها وصعودها وهبوطها وأمزجتها وطبائعها ومقارنة كل هذا بالحروف والأعداد التى يستعملها وقيمة كل منها وغير ذلك مما يحتاج إلى معادلات جبرية ومعرفة المجاميع والتوافيق وحسابات هندسية وفلكية يستحيل أن يلم بها أى ساحر (لأن أغلبهم قديماً وكلهم حديثاً جهلاء) مع العلم بأن فرقاً فى الزمن قدره خمس دقائق يترتب عليه خطأ الحساب كله ونتيجته . . ولأن السحر بهذه الطريقة يستلزم غاية الحيطة والحذر للسر العظيم الموجود فى الحروف والأرقام التى أدت إلى عمل الاختراعات المفيدة والمغيرة . . لأنه بدون الأرقام وسرها الكبير لا يمكن لعالم الطبيعة أو الكيمياء التوصل إلى أى اختراع كان .

وهناك نوع من السحر يلجأ فيه الساحر الفقير إلى التأثير الجاهل على نفس أو خيال ضحيته مستعيناً على ذلك بصورته الفوتوغرافية أو قطعة من ملابسه وهو ما ندعوه (بالأثر) كياقة قميص أو منديل أو شراب . . . الخ وهذا لا يخرج عن التضليل والإيهام والادعاء .

والسحر بأنواعه إما يقتصر عمله ومفعوله وتأثيره على شخص واحد سواء كان ذكراً أو أنثى وهو الشائع ، وإما يقصد به جملة أشخاص ، وهذا نادر جداً ولابد أن يكون الساحر فى هذه الحالة على اتصال دائم بالشياطين وله خبرة ودراية تامة بفنون السحر وهذا لا يتأتى إلا إذا عمل فى السحر ومارسه مدة لا تقل عن ثلاثين

أو أربعين عاماً يقضيها فى صحبة الشيطان وعبادته حتى يصبح شكلا ومنظراً كالشيطان نفسه .

ومن السحر من يقصد به إفساد الزرع أو المحصولات أو إهلاك البهائم ومنتجاتها أو كساد التجارة وبوارها أو خسارة المال أو عدم إتمام الزواج أو السعى فى خراب البيوت والعياذ بالله أو التفرقة بين المحبين وغيرها من أنواع المتاعب والمضايقات والمشكلات .

ويوجد بالغرب فئة من السحرة أخصائيون فى هلاك البهائم ويطلقون عليهم اسم (البعاجين) ونظرة واحدة منهم إلى ظهر أو بطن بهيم مع تلاوة بضعة كلمات غير مفهومة كافية لشق جلد ظهر البهيم المسكين أو شق بطنه وخروج أمعائه وهلاكه لوقته ، كما أن هناك طائفة من الهنود مختصة فى مثل هذا العمل ولكنهم يمارسون سحرهم على الإنسان بدلا من الحيوان فينظر الساحر الهندى إلى فريسته ويشير إليها بعلامته ورسوم خافية فتسقط فوراً .

وقديماً كانوا يعتبرون الحسد والعين (١) البطالة وإصابة الغير بها من السحر ويعود السبب فى ذلك أن الحاسد إذا رأى فى غيره ما هو محروم منه سعى فى حرمان هذا الغير مما يتمتع به .

---

(١) راجع « الحسد » وكيف نتقيه للمؤلف . . طبعة مكتبة القرآن ، وقد أوضحت فيه قضية الحسد من كل جوانبها وقلت أن الحسد لا يصيب بضرر ، وناقشت القائلين بغير ذلك .

وكلنا يعلم أن الحسد حقيقة واقعة وهى غريزة أو خاصية مستأصلة ومتغلغلة فى نفوس الحاسدين . . ولذا أفتوا بأن الحاسد غير الساحر ولا يمكن عقابه لأنه يحسد مجبوراً بدافع من قوة خافية به يعجز عن كبحها والسيطرة عليها وتعمل ضد إرادته .

الفرق بين المعجـــزة والسحـــر :

كما أن هناك فرقاً كبيراً بين المعجزة والسحر ، فالأولى قدرة إلهية مؤيدة بروح الله تبعث فى النفس التأثير المطلوب فيراها الشخص حقيقة مادية ماثلة أما بصره لا دخل لقوة أو مقدرة النبى أو الرسول فيها أما السحر فإنه من عمل الشيطان الذى يسخر الإنسان لعمله فيقدم عليه وهو عالم بنتيجته وبمن سيصيبه والغرض من ذلك . . . والمعجزة يقصد بها خير الناس وهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم والبقاء على حياتهم وصوناً لكيانهم . .

أما السحر فلا غاية ولا مقصد له إلا الضرر والهلاك . . .

وهناك حقيقة ملموسة وهى أن كل سحر يقصد به غرض معين أساسه واحد وطريقة عمله واحدة ، والمواد التى تستخدم فيه واحدة وكل الرموز والتلاوات التى تقرأ أو ترسم واحدة . إلا اسم الأشخاص فقط . . . أما المعجزة فتتغير بطبيعة الوقت الذى يعيش فيه الناس ومقدرة عقولهم والظروف المحيطة بهم ، ولذا نجد معجزات كل رسول أو نبى تختلف عمن سبقه أو لحقه .

* * *

صانع الألعـاب (الحـاوى) :

هذا ولا يمكننا أبداً اعتبار الحاوى ساحراً لأن العاب الحاوى تتوقف على خفة يديه ومهارته فى كلفتة المتفرجين ولا تعود بأى ضرر على أى إنسان ولا يقصد بها إلا التسلية ويتخذها الحاوى مورداً لرزقه وكل معداته التى يستعملها ظاهرة للعيان بسيطة لا تعقد فيها ولا غموض وليس هناك رموز أو طقوس أو ملابس خاصة ولا يعتمد فى ألعابه على قوى خافية خارقة أو أرواح شريرة . ويمكنه أن يعرض ألعابه فى أى مكان وفى كل الأزمنة دون ترتيب سابق وهذا بعكس الساحر تماماً فكل عمله موجه للضرر لا يمكنه أن يقوم به إلا فى أوقات معلومة وبشروط مخصوصة ومواد خاصة ، والحاوى تضطره لقمة العيش إلى النزول فى المقاهى والمحلات العامة ويذرع الشوارع والحارات ليعرض ألعابه ويسعى إليك برجليه ليفرج عن همك ، ويدخل السرور إلى قلبك ويستدر عطفك وكرمك . . . أما الساحر فأنت الذى تقصده وربما ترجوه وتستعطفه لإزالة كربك وكثيراً ما يبتز أموالك بدون فائدة ولا تجد فى قلبه ذرة للرحمة أو الشفقة على أى إنسان .

* * *

سبب تأثير السحـر :

ويعود السبب فى تأثير السحر على الإنسان إلى السائلين الأساسيين فى حياته وهما الدم والماء فهما سبب نشاطه وحركته وسكناته ويتوقف عليها صحته وقوته وعقله وكل ما فيه . . وهذان

السائلان عرضه للتغيير والزيادة والنقص وأى نقص أو عجز فى تفاعلهما الكيمائى يهز كيان المرء هزاً ويعرضه للأمراض وإذا ما توقف جزء من أيهما تعرض الميزان أو التوازن بينهما للخلل فترتبك حالة الإنسان ويتلو ذلك ارتباك فى جميع تصرفاته ، أما إذا توقف أحدهما عن الحركة ففى هذا هلاكه . . ولذا نجد فى حالات الأسهال الشديد أو التسمم الذى يفقد فيه الإنسان جزءاً كبيراً من ماء جسمه أن يأمر الطبيب بإعطائه كميات كبيرة من الماء أو السوائل لتعويض ما فقده الجسم كذلك فى حالات النزيف الدموى وما يتطلبه من نقل الدم وغيره . .

والشيطان بما أوتى من علم ودراية يفهم تماماً ما ينفع وما يضر من هذين السائلين ، وبالنسبة للمغناطيسية المحيطة بكل منا يمكنه بواسطة هذه المغناطيسية التأثير على أحد السائلين أو كليهما ويحقق ما يصبو إليه من ضرر .

والمغناطيسية المذكورة أمر معترف به ولهذا نجد البعض له جاذبية كبيرة والآخر قليلة والثالث محروم منها ، وتجد هذا يجذبه أمر من الأمور وينفر منه الآخر وأنت تحب بعض فصول السنة ويكرهها غيرك ، أو تحب لوناً من الطعام أو الشراب ولا يقبل عليه غيرك . . .

وفى كثير من الأحيان تميل إلى شخص من أول وهلة وتنفر من آخر دون أن يكون لك أية صلة بأحدهما وهذا مصدره

المغناطيسية ونوعها سالبة أو موجبة وهى الطريق الذى يتوصل به الشيطان إلى جسم الإنسان وكل ما يدور حوله التأثير عليه . . . ولذلك نجد الساحر إذا أراد أن يسحر ضد أحد طلب شيئاً من (أثره) لأن هذا الأثر يحمل بعضاً من شخصيته فيمكنه بواسطة هذا الجزء من السخصية أن يؤثر على الشخصية كلها ، وترتكز نظرية تأثير السحر على الضحية إلى عاملين مهمين :

١ - كل عمل لابد له من عامل وتتوقف نتيجة هذا العمل وتحدد كميته ونوع نتيجته على نوع العمل نفسه وصفة عامله والوسائل التى استخدمت فى هذا العمل . . فمثلا إذا أراد فريد أن يضرب عمراً فلابد له من ضربه لا تقبيله ولابد من ضربه بيده أو رجله . . . أو أيه آلة أخرى . . وتتوقف نتيجة الضرب وأثرها على قوة زيد فى الضرب والآلة التى إستعملها فى الضرب والجهة التى ضرب فيها زيد من جسمه ويستحيل أن يتم هذا الضرب المطلوب نتائجه إذا دعا زيد عمراً مثلا إلى وليمة غذاء أو قدم له باقة من الورد بدلا من ضربه . . وأيضاً إذا أراد زيد أن يقترض من عمرو عشرة جنيهات مثلا لقضاء بعض حاجاته وإعطاء عمرو خمسة بدل من عشرة فيستحيل على زيد أن يقضى بهذه الخمسة جنيهات إلا نصف مطالبه .

٢ - كل جزء من جسم الإنسان أو أمتعته التى يستعملها سواء كان هذا الجزء أو هذه الأمتعة متصلة به أو منفصلة عنه تحمل جزءاً من شخصيته . . . فمثلا إذا حلقت شعر رأسك عند حلاق فى

نيويورك فإن هذا الشعر سواء كنت فى القاهرة أو المريخ فهو جزء منك ويبقى جزءاً من جسدك إلى أن يبلى تماماً وبناء عليه فإنه يحمل بعضاً من شخصيتك ولا نكران بتاتاً . . . وكذلك إذا تعطفت وتكرمت وخلعت إحدى قطع ملابسك على محتاج فإن هذه القطعة من الملابس سواء كانت صغيرة أو كبيرة تحمل شخصيتك ويستحيل أن تدل على غيرك حتى لو لبسها أى شخص ، ولأبرهن لك على ذلك أقول . . كل قطعة من الملابس التى ترتديها سواء كانت بدلة أم قميصا . . . الخ .

اشتريتها بناء على رغبتك أو أخذت لونها وتفصيلها أو شكلها حسب مزاجك وضحيت بثمنها بناء عن رغبتك واخترت لونها وتفصيلها أو شكلها حسب مزاجك ، وضحيت بثمنها من مالك وحرصت عليها ضد التلف أو القذارة بعض الوقت وأخذت من عنايتك وقتا قليلا أو كثيراً وفضلتها بدورها عن القديم عنها أعنى أضفيت عليها جزءاً من شخصيتك أنت ودلت عند لبسها على ذوقك وهل زادت فى رونقك أم العكس . . .

فإذا ما استغنيت عنها وأعطيتها لأى إنسان أو طوحت بها إلى عرض الطريق فإنها طالما زالت باقية وما زلت حياً تدل عليك وتعتبر جزءاً منك . . . وكذلك اسمك وصورتك الفوتوغرافية وغيرها .

ولذا يعتمد الساحر فى نجاح عمله على هذه الأشياء ويصر على الحصول على أى مادة منها لأنها تمثلك . . ونجد الكثيرين بيننا الآن

يحرصون على عدم التفريط فى ملابسهم وإذا قصوا شعرهم أو قلموا أظافرهم جمعوها وألقوا بها فى أى مكان .

والساحر باستعمال هذين العاملين يمكنه حسب قوته وخبرته ودرايته لأن يحدد نوع السحر المقصود وإلى أى شىء فى حياة الشخص يوجهه مستعيناً على ذلك بأثر الشخص من مخلفاته المذكورة .

وأود أن أطمئن المسلمين أن السحرة الحقيقين معدومون تقريباً الآن وأكثر الموجودين هواشون نصابون لأن الساحر الحقيق المرتبط بالشيطان له دلائل خاصة وشكل خاص وعلاوة على ذلك فهو ممهور بختم أو علامة الشيطان فى جسمه لا سبيل إلى نكرانها وبها يستدل عليه كما سنوضحه فيما سيأتى .

من هو الساحر وكيف يكون وماذا يعمـــل ؟

تعنى بعض الكلمات فى اللغات الأجنبية مثل (DE Manist) و (Satanst) الساحر ولكنها تحمل معنى كلمة (الشيطان) وذلك للصلة بين الساحر والشيطان .

ولا يكون الساحر لائقاً للسحر إلا إذا توافرت فيه شروط :

١ — يبيع فى حياته وبعد مماته نفسه وكل ما يملك من مال وعقار وديار وذرية إلى الشيطان .

٢ — أن يكون له من قوة العناد والإصرار والمكارة مالا يمكن معه زعزعته عن عقيدته الشيطانية حتى ولو قاسى فى سبيلها أشد وأقسى أنواع وألوان التعذيب والإهانه . . .

٣ — أن يكون صفيقا عديم الحياء والضمير والإحساس لايعترف بالرحمة ولا الحنان أو العطف وغيرها من العواطف ومختلف الإحساسات البشرية النبيلة .

٤ — أن لا ترتعد فرائضه عند ظهور سيده إبليس أو أحد أتباعه له فى أية صورة مفزعة . . أو عندما يقابل المقصلة أو حبل المشنقة أو أتون الحريق .

٥ — أن لا يتضجر ولا يتذمر إذا ماطل إبليس مساعدته أو منعها عنه ، وعليه أن يلح بكل قوته فى طلب هذه المساعدة وعليه أن لا يتأفف ولا يتململ إذا طلب منه الإتيان بأى عمل ينافى الأديان أو الآداب أو العرف أو القانون الذى تسير عليه البشرية .

٦ — أن يجتهد بكل قوته فى أعماله السحرية وأن يثابر ويواظب على دراستها ، والقيام بما تتطلبه من طقوس شيطانية وحفلات إبليسية واحتفالات عفريتية غير عابئ بما يصيبه أو ينال غيره نتيجة لهذه الأعمال والحفلات أو الاجتماعات على أن يحضرها فى مواعيدها ويقوم بها فى الأوقات المخصصة لها .

٧ — أن يكون جاهلا جهلا تاماً — إما عن طبيعته أو باكتسابه — بكل ما هو جميل أو حميد .

٨ — أن يعتقد اعتقاداً راسخاً فى قوة الشيطان ومقدرته ومقدرة أعوانه من الأرواح الشريرة الخبيثة مطيعاً لأوامرها خاضعاً لشروطها وقوانينها .

٩ ــ أن يكون عدواً لدوداً لجميع الأديان، وعليه أن يظهر سخطه عليها واستهزاءه بها فى كل مناسبة وأن لا يدخل بتاتاً أى محل للعبادة إلا بقصد سرقته أو تدنيسه أو تلويث معداته وأن يتبرأ من دينه ومن جميع الكتب المنزلة مع تمزيقها وحرقها واستعمالها فى أغراض دنيئة .

١٠ ــ أن يكون مستعداً لارتكاب أيه جريمة خلقية وكل معصية ورذيلة مع الانغماس الكلى فى الفجور والإباحية .

١١ ــ أن يكون مثالا للقذارة ودناءة النفس كما تشهد بذلك ملابسه وطرق معيشته وأن يحرم استعمال الماء والصابون تحريماً أبدياً حتى يكتسب جسمه وملابسه ومكسنه رائحة نتنة كريهة تلصق به طوال حياته يعرف بها بين زملائه .

١٢ ــ أن يقضى معظم وقته أو كله ــ إن أمكنه ــ منزوياً منطوياً على نفسه بعيداً عن الناس لا يعاملهم ولا يتصل بهم إلا إذا طلب منه ذلك لأعمال السحر وإلحاق الضرر بالناس (١) .

* * *

وبذلك يهبط الساحر إذا فعل هذه الشروط إلى درجة الحيوانية .

* فمن يريد لنفسه أن يكون وحشياً بهيمياً هكذا . . .

ومن يريد لنفسه أن يتجرد من كل عواطف الإنسانية والضمير

---

(١) كتاب السحر (٤٨) ، محمد جعفر (الأنجلو المصرية) .

البشرى الذى يرقى بها الإنسان نفسه، وينجلى فكره ، وينكشف ما ران على قلبه . . وتصفو روحه فيعيش ملكاً بين بنى آدم . .

ولذا فإن هذه الشروط لا تتوافر إلا فى شواذ الخلق الذين انعدمت عندهم الإنسانية ومات الضمير ، وانغلق الفكر ، وذهب الوجدان . . ولا يصل إليها إلا بعد سلسلة طويلة من البعد عن الحق والانزواء عن النور ، والركون إلى الباطل حتى يقسو قلبه . .

* * *

ولا يمكن للساحر مع توافر الشروط العجيبة أن يصبح ساحراً رسمياً بل لابد له أن يروض نفسه تدريجياً على هذه الموبقات والشرور لبضعة شهور تمهيداً لصقل نفسه وروحه وعقله بالزئبق الجهنمى . . حتى إذا ما وطد العزم وصمم على أن يكون ساحراً عكف على مطالعة المخطوطات – والكتب الثمينة التى تبحث فى السحر والسحرة وكيف يكونون وماذا يعملون وطريقة قربهم من الشيطان ومقابلته والاتفاق معه فى كل ما يحتاج إليه الساحر ليصبح ساحراً شيطانياً كباقى الأرواح الخبيثة والأبالسة . .

وعندما يفهم الساحر واجباته ويفهم الطريق التى توصله لغرضه يبدأ فى الاستعداد لمقابلة الشيطان ، وعقد الاتفاق أو العقد الخاص معه وتقديم فروض الطاعة والولاء من صورتين يوقع عليهما بنفسه .. فإذا تنازل الشيطان وقبل العقد من الساحر دل هذا على رضائه عليه .

ويشعر الساحر فى نفسه بغرور زائد لأنه صار من عبدة الشيطان وأن له القدرة والمقدرة لارتكاب المعاصى ، وإلحاق الأذى بالآدميين(١)

* * *

كيف يقابل الساحر الشيطان :

هناك طرق يتبعها الساحر لمقابلة الشيطان لأول مرة وأهمها :

١ - على الساحر أن يخرج فى ليلة مقمرة بعيداً عن العمران عند منتصف الليل أو قبله بقليل ، ويختار إحدى القصور المهجورة أو الخرائب ، يختار بقعة قريبة منها بحيث تكون موحشة . . فيخلع ملابسه حتى يصبح عارياً كما ولدته أمه ، ثم يرسم دائرة كبيرة وينقش داخل وخارج الدائرة وبجوار محيطها الأشكال والرموز والطلاسم وأسماء الأرواح الخبيثة والشياطين كما قرأها .

يوقد شمعتين . . ويسرق إناء فضياً ويشوه منظره ويلوثه ويضعه وسط الدائرة وبه حبوب نباتات معنية فينحنى ويقفز داخل الدائرة كالقرود وهو قابض على الشمعتين بكلتا يديه وينشد أناشيد الشياطين ويتلو التعويذات الجهنمية كما قرأها حتى يبلغ غاية النصب فيجلس القرفصاء داخل الدائرة وهو يقرأ أو يتلو التعاويذ وينشد . ويلوح للشيطان فى الفضاء بالعقد ويقرأ نصوصه ويجتهد ويلح ويكثر من القفز والقراءة والتلاوة ويكمل بقية الطريقة .

---

(١) السابق بتصرف (٤٩) .

وفى هذا الوقت يكون مندوب الشيطان مراقباً له حتى يتأكد من أن الساحر جاد حقيقة فى أتباع الشيطان . فيظهر له على شكل وصورة ويستلم منه العقد ويأمره بالحضور إلى حفلة تعميده فى الليلة التى سيحددها له (عمدة) السحرة .

* * *

٢ ــ أما الطريقة الثانية فتتلخص فى أن راغب العمل بالسحر بعد حفظه جميع التعاليم والإرشادات يقصد فى ليلة قمرية داراً مهجورة بعيداً عن العمران ويصحب معه حيوانات معينة ويجلس عارياً كما ولدته أمه ويذبح الحيوانات بترتيبها المذكور فى الكتب وهو يتلو التعاويذ والأناشيد المخصوصة أثناء الذبح ويجمع دماءها فى زجاجة قذرة ثم يلقى بجدى ذبحه معها فى الخلاء قريباً من المكان كهدية للشيطان ويكمل هذه الطريقة ، ثم يستعطف ويلح فى طلب عبادة الشيطان حتى يظهر له ويسلمه العقد مكرراً إخلاصه فيستلمه منه وينبه عليه بمقابلة (عمدة) السحرة فى منطقته لتحديد يوم التمعيد

* * *

تعميد الساحر :

٣ ــ أما الطريقة الثالثة :

فهى أن يقصد الساحر قبل شروق الشمس (قبل مقابلة الشيطان بيوم) إحدى الغابات أو الحدائق ويختار شجرة عقيمة لا تثمر نباتاً ويقطع منها غصناً بمبراة جديدة لم تستعمل قط . .

وفى اليوم الثانى يقصد غرفة خاصة له فى منزله ومعه هذا الغصن وحجر دم صغير ويخلع ملابسه جميعها ويرسم مثلثا متساوى الساقين ويضع شمعة سوداء على زاوية قاعدة المثلث . ويكمل هذه الطريقة حتى يسمع صوت الشيطان ولكن لا يراه ويأمره بإعادة كتابة العقد بمادة نتنة ويكرر ما فعله فى هذا اليوم حتى إذا انتصف ليل اليوم الثالث حضر واستلم العقد وأمره بمقابلة العمدة .

* * *

فى صباح اليوم التالى لاستلام الشيطان العقد من الساحر يتوجه هذا الأخير لمقابلة (عمدة) السحرة والساحرات كما أشار به الشيطان فيجد الأخير فى انتظاره فيحدد له ليلة ومكان الاحتفال بتعميده ويلقى إليه ببعض النصائح والتعليمات الواجب مراعاتها حرفياً ليلة التعميـــد . . .

وفى الليلة المحددة يحضر جميع السحرة المراد تعميدهم من رجال ونساء وعلى هـؤلاء الأخيرات أن تتزين وتستعد لهـــذه الحفلة خصوصاً وأن هذه ستكون آخر مرة يبتل جسدها بالماء أو يمسه الصابون وغيره من أدوات النظافة .

وتقام ليلة التعميد دائماً فى إحدى الجهات الخالية الموحشة أو الغابات المخيفة أو فى المغارات أو شواطئ البحار أو الصحارى المقفرة وغيرها من الأمكنة التى يخشى فيها المرء العادى على نفسه فى وضح النهار . . وعلى كل ساحر وساحرة يراد تعميده أن

يحضر معه صليباً خشبياً وقطعة من القربان المقدس . . حتى إذا ما أجتمع شمل الجميع خلعوا ثيابهم ورسموا الدوائر السحرية بالألوان المطلوبة وقاموا بعمل النقوش والرموز . . . إلخ واستدعوا الشيطان والأبالسة والأرواح الشريرة الخبيثة والجان والعفاريت حتى إذا ما اجتهدوا فى الغناء والإنشاد والاستعطاف والإلحاح ظهر لهم مندوب الشيطان فى شكل حيوان أو إنسان أو نصف إنسان ونصف حيوان فيقابله السحرة بالتهليل والتبجيل ويتنافسون على تقبيل حوافره أو أى جزء من أجزاء جسده القذرة .

ثم يبدأ (العمدة) فى تقديم السحرة واحداً فواحدة لإجراء تعميدهم . . ويتقدم الساحر ومعه قطعة القربان المقدسة فيبصق عليها ويهرسها بأقدامه ويطأ الصليب بقدميه وهنا يخرج العمدة حمامة أو طيراً صغيراً يتلو عليه بعض التلاوات فينقلب الطير إلى غلام صغير ، وهذا الطفل عادة العمدة قبل ليلة التعميد ليقدمه قرباناً للشيطان ليلة الاحتفال بتعميد السحرة الجديدين . . ويمسك الساحر الطفل ويذبحه وسط تهليل واستحسان السحرة ثم يلوث بدماء الطفل البرىء الأجزاء الحساسة من جسده وجسد مندوب الشيطان وباقى السحرة حتى إذا نزفت دماء الطفل جميعها ألقوا به فى وعاء كبير جداً ليستوى مع باقى المأكولات القذرة التى أتى بها السحرة لالتهامها ليلة التعميد .

ثم يكرر الساحر لمندوب الشيطان ولاءه لسيده وثباته على إخلاصه والإيفاء بكل ما ورد فى العقد من شروط . . . وهنا

يبدأ مندوب الشيطان فى اختبار قوة احتمال الساحر وصدق عزيمته ونواياه نحو إبليس ، فيأمره بسب الأديان علناً فيطيع الساحر الأمر فوراً . . ثم يأمر مندوب الشيطان الساحر الجديد بالركوع أمامه فيركع وهنا يركله فى رأسه ووجهه ركلة شيطانية تطيح بعقل الساحر وتسيل منها دماؤه وتختلط بالتراب ، فيأمره الشيطان أن يمسح بهذا التراب الملوث بدمائه وجهه ويسلمه العقد للتوقيع عليه بهذه الدماء فيطيع الساحر الأمر صاغراً . . ويوقع على العقد ويعيده للشيطان الذى يستلمه منه بكل ازدراء ثم يبصق على الساحر بصفة جهنمية تلصق بأى مكان من جسد الساحر ، وتكون علامة ظاهرة بحجم (الشلن) غامقة اللون أو قرمزية بارزة عديمة الحساسية حتى أن القضاة عند تعذيب السحرة كانوا يغرسون الدبابيس الكبيرة المحماة فى هذه العلامات فلا تدمى ولا يشعر لها الساحر بأى ألم . . وإن كانت المعمدة أنثى بصق الشيطان على أحد أجزاء جسدها الحساسة فتتكون نفس العلامة كالتى عثروا عليها فى ظهر (أنا بولين) بعد إعدامها .

وبعد ما ينتهى مندوب الشيطان من تعميد جميع السحرة والساحرات ويدمغهم بهذه التمغة الإبليسية وهى إما أن تكون على شكل قرص بارز مستدير أو رجل أرنب أو برص صغير أو عنكبوت أو ذبابة أو ضفدعة صغيرة ، وكانت هذه التمغة عند القبض على السحرة ومحاكمتهم ـــ دليلا كافياً لحرقهم وإعدامهم مهما انكروا ومهما كابروا . . وبعد التعميد يطلق على كل منهم مندوب الشيطان اسما

جديداً يعرف به وسط زملائه ويقيد به فى سجل السحرة والأسماء غريبة مضحكة فمن أسماء الرجال (أمبجلى ، كرع ، ذيل التيس ، وأبو جلمبو،الدولة (الشيطانية) ومن أسماء الأناث مهلوكة ، وأم بريز وكوع القرد وفلوطة ، وغيرها من الأسماء العجيبة ، وبعد هذه التسمية يحضر أحد أعوان الشيطان على شكل حمار كبير أو دب أو ثور عفن الرائحة فيبول على الساحر الذى يدهن كل جسده بهذه القاذورات مع إظهاره الارتياح التام لهذه الحفاوة والمقابلة الطيبة . . ويحدث كل هذا وسط تصفيق وطرب وسرور الجميع الذين يقبلون على زميلهم الجديد مهنئين ولظهور شعورهم نحوه ، ولزيادة الترحيب به والمبالغة فى إكرامه يحيطون به فيصفعونه هذا على قفاه ، ويركله الثانى فى بطنه بينما ينتف له الثالث رموش عينيه . . . كل هذا يدور ويحدث للساحر وهو راكع لا يتململ ولا يتضجر بل من الواجب عليه الابتسام دليل الارتياح والمتعة بهذه الإكراميات العديدة ، ويتقبل الصفح والركل ونتف شعره بمزيد من الاغتباط .

والحق أن الركلة الأولى التى يركلها له مندوب الشيطان تفقده الوعى بما يدور حوله . . ويهم مندوب الشيطان وهو يتأبط صور العقود التى وقع عليها السحرة الجديدون أمامه بالانصراف وقبل انصرافه يكيل لكل منهم ركلة أخرى على سبيل التحية والمبالغة فى الكرم ، وبعد انصراف المندوب يبدأ جميع السحرة بالاحتفال الكبير هم ومن معهم من الشياطين والأرواح الخبيثة

فيأكلون ويشربون ويسكرون ويسودهم الهرج والمرج ويرتكبون من الآثام والمعاصي ما تأنف منه أحط العاهرات حتى تنتهى الحفلة قبل انبثاق الفجر بقليل ، وتكون قد بدأت منذ الساعة العاشرة ليلا فينصرف الجميع عائدين إلى ديارهم بعد ارتداء ملابسهم مخمورين مبطوحين ولكن فى غاية الانشراح والسرور لأن كل منهم صار الآن ساحراً حقيقياً يمكنه أن يقوم بخدمة الأبالسة وإطاعة أوامرهم وإلحاق الأذى بأكبر عدد ممكن من الأشخاص الأبرياء . . ومن صباح اليوم التالى لهذا الحفل يكون كل ساحر أو ساحرة مستعداً للعمل تماماً فيتخذ الإجراءات الخاصة من تفصيل ملابس معينة مرسوم بها رموز وأشكال خاصة واحضار معدات خاصة واحضار معدات وأدوات السحر كما تفرضها القوانين واللوائح الشيطانية وكلها مذكورة فى كتب السحر والسحرة ، ويحتفظ الساحر أو الساحرة بصورة من العقد المبرم بينها وبين الشيطان وعليه توقيعه فى حرز أمين لا يطلع عليه أحد بتاتاً ويحافظ عليه محافظته على حياته المشئومة(١) .

* * *

العقد المبرم بين الساحر والشيطان :

قد يعتقد الكثيرون أن العقد أو الميثاق الذى يبرمه الساحر مع الشيطان هو ضرب من الخيال أو عقد مجازى ، ولكن الحقيقة

---

(١) كتاب السحر (٦٠) .

عكس ذلك بتاتاً ، فهذا العقد هو عقد حقيقى كأى عقد فى العالم يعقد بين طرفين لأغراض معلومة بشكل(١) .

وقد ذكر المحامى الكبير « موريس جارسون » وهو أحد أقطاب المحاماة فى فرنسا ويستشهد بآرائه ومبادئه لليوم الكثير من المحامين — كما يعتبر أيضاً من المراجع الموثوق بهم فى علم السحر والسحرة وأعمالهم — فقد ذكر المحامى المعروف فى محاضرته التى ألقاها أمام معهد (علوم ما وراء الطبيعة عام ١٩٢٩ م) ما يأتى :

« إن أول عمل يقوم به الساحر عند تحالفه مع الشيطان ، وظهور الأخير لمقابلته له لأول مرة هو تحرير ميثاق أو عقد ينص فيه أن يبيع الطرف الأول للطرف الثانى روحه ونفسه ومتاعه وكل ما يملك نظير أن يمنح الطرف الثانى (الشيطان) للطرف الأول (الساحر) القوة والمقدرة لإتيان الأعمال السحرية . ولكن يلاحظ فى هذا العقد أن كل الالتزامات الواردة فى هذا العقد يقوم بها الطرف الأول وليس فيه أية التزامات على الطرف الثانى حتى يرجع الطرف الأول فى حالة إخلال الشيطان بمساعدته وأضاف جارسون قائلا « إن لدى الآن ومعى حالا أحد هذه العقـــــود » .

وعند محاكمة الساحرة الكبيرة (ستيفنون دى أوديرت) المشهورة بساخرة (البرنية) والتى أعدمت حرقاً عام ١٦١٩م ، أظهرت لرئيس المحكمة وقتئذ وهو القاضى (بيو دى لانكر)

صورة العقد الذى أبرمته مع الشيطان وهو عبارة عن قطعة قذرة من جلد القط أو الكلب ملوثة ومحررة بدماء الحيض وغيرها من القاذورات التى يستحيل على الإنسان أن يتحمل رؤيتها أو رائحتها الكريهة .

ولعل أخبث وأقذر عقد تحرر بين الساحر والشيطان هو الميثاق المبرم بين الساحر العظيم (أوربان جراندييه) (Wrbain Grandier) وإبليس شكل (٢) . والذى حكم بإعدامه فى ١٨ من أغسطس سنة ١٩٣٤م . ونفذ فيه الحكم علناً بسوق لودون . . وما زالت صورة محفوظة بالمكتبة العمومية بباريس ويوجد بمكتبة (أبسالا) صورة العقد المبرم بين الشيطان والساحر (دانيال سالثنوس) أستاذ اللغة العبرية ، ولكنه باع روحه ونفسه فلقى حتفه سريعاً .

ومن العقود العجيبة التى يقولون عنها أنها ممهورة وموقع عليها من الشيطان الكبير نفسه — العقد المحفوظ بدفتر خانة كاتدرائية (جرجينتى Girginte) ، وقد حرره أحد القساوسة مع إبليس نفسه واللغة المحرر بها هذا العقد معقدة جداً حتى عجز للآن كل من رآه من أساتذة اللغات عن ترجمته أو معرفة أى نص من نصوصه وهو مكتوب فى سطور منحدرة مائلة ولم يفهم من العقد إلا اسم القس الذى وقع عليه .

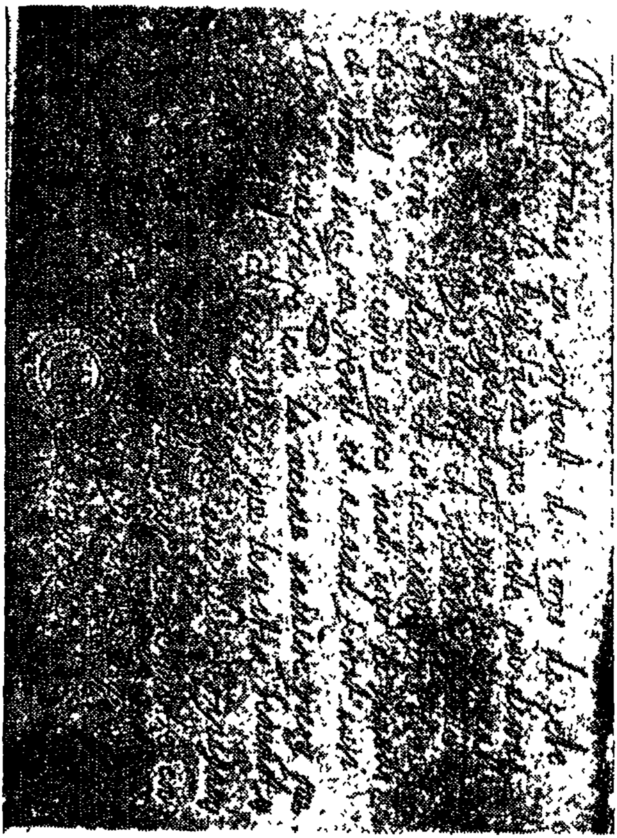
وقد كتب الكثيرون من رجال الدين والقضاء فى موضوع هذا العقد وما ورد فيه من شروط نصوص والتزامات كما جاء

فى كتاب الأسقف (فرانسيسكو ماريا جوتشى) وعنـوانه (ميثاق الساحر مع الشيطان) وقد ترجم هذا المؤلف إلى الانكليزية ونشر بانجلترا عام ١٩٢٩م .

وقد حدث جدال طويل عريض حول العقود المبرمة بين السحرة والشياطين وصحتها أو بطلانها من جهة قضائية أو تشريعية وتعددت المناقشات وانتهت إلى لا شيء لأن الطرف الثانى وهو الشيطان لا يمكن الرجوع عليه إذا أخل بالتزاماته وبالتالى يستحيل مقاضاته كما أنه لا يوجد فى نصوص العقد أى شرط جزائى فى حالة تخلف الشيطان عن الإيفاء بوعده لمساعدة الساحر ولم ينص على نوع هذه المساعدة ولا مدتها ، وكل ما يلزم به الشيطان وفى هذه العقود قبل السحرة (أنه ينظر فى مساعدتهم إذا برهنوا له بصفة لا تقبل الشك أنهم من عباده . . كما أنه لا يوجد فى شروط العقد التزام الشيطان بمساعدة الساحر أثناء الأزمات التى يتعرض لها فى حياته من مرض أو فقر أو محاكمة ... إلخ ، لأن الساحر فى عقده مع الشيطان جعل على نفسه كل الغرم وعلى الشيطان كل الغنم . . وأن الأول هو الذى يطالب مساعدة الثانى ويلح فى طلبها ، بل يتوسل ويستعطف ويرجو من أجلها ، وذلك نظير شيء واحد وهو أنه يصبر ساحراً عبداً للشيطان وأعوانه ، فعلى الساحر إذن تقع جميع المسئولية وعليه أن يتحمل وحده جميع النتائج المترتبة على إبرامه هذا العقد(١) .

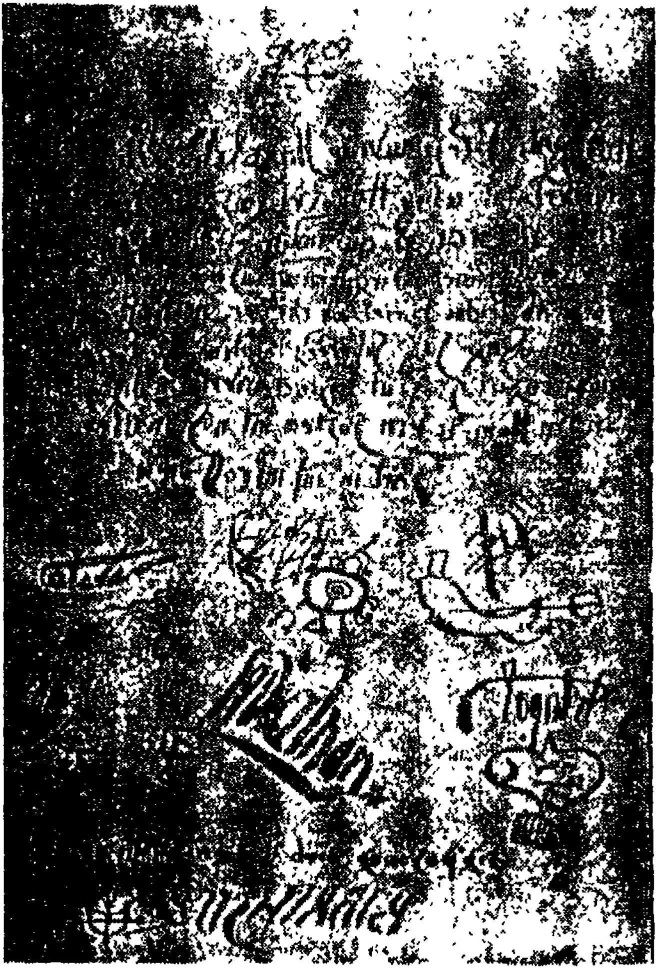
---

(١) السابق بتصرف (٦٥) .



شكل (١)

عقد بين ساحر ونائب الشيطان (اسمودیوس)



شكل (٠)

العقد المبرم بين الشيطان والساحر (اوربان جراندليه)

تعميد الأنثى :

سبق وصف طريقة تعميد الساحر الرجل وما يلاقيه من صنوف الإكرام والتبجيل والحفاوة بمناسبة هذا الحدث الجليل .

أما إذا كان المراد تعميدها أنثى وغالباً تكون فى العقد الثانى أو الثالث من عمرها على الأكثر ، فإن الشيطان يتخذ معها إجراءات شائنة سافلة ، فبعد تقديمها لصورة العقد وتجديد ولائها وخضوعها للشيطان يبصق عليها بصقته الجهنمية ويلمغها بعلامته أو ختمه . . وعند ذلك تقدم له خصلة من شعرها عربوناً للمحبة والإخلاص .

ولذا كانت الساحرة عند اعترافها بمزاولة السحر وتحريرها العقد اللازم مع إبليس وقبل تنفيذ حكم الإعدام حرقاً عليها (أى الساحرة ستيفنون دى أوديرت) (المشهورة بساحرة « البرنية ») . . كانت تؤخذ إلى غرفة التعذيب حيث ينزع أو ينزع المكلفون بعذابها كل شعرة فى جسدها بواسطة مقابض صغيرة محماة الأمر الذى يفوق طاقة البشر وأية ساحرة مهما بلغت بها الدرجة من التبجح والإصرار والمكابرة الصبر . . فكانت بمجرد أن تنزع من جسدها أو شعرها بضعة شعرات تصرخ وتستغيث من شدة الألم وتعترف بما عملت وما لم تعمل وتكيل لنفسها التهم جزافاً حتى ترحم من عملية النتف المذكورة ويتم حرقها فى الحال . . ولكن إمعاناً فى تعذيبها كان المكلفون بأمرها

يطبقون قانون التعذيب عليها حرفياً ، ولا يتركونها إلا بعد إزالة كل شعرة من جسدها وتكون الساحرة خلال هذه العملية قد قاست من الآلام الدامية والأوجاع المرعبة ما يجعلها فى شبه غيبوبة ثم تؤخذ للحريق .

وبعد أن تقدم الساحرة خصلة الشعر يأمرها بارتكاب الفاحشة مع أحد أعوانه علناً أمام الجميع وكانت معظم الساحرات يحملن نتيجة هذا التلقيح ويلدن .

* * *

وبعد الانتهاء من تعميد جميع السحرة وانصراف مندوب الشيطان حاملا عقودهم ، يجتمع الساحرون والساحرات والأرواح الشريرة التى تحضر هذه الحفلة بصور مختلفة من إنسان وحيوان وغيرها حول موائد الأكل التى تعد أثناء حفلة تعميد الشياطين والأرواح الخبيثة ويقدم الجميع طعاماً قذراً مكوناً من فضلات الطعام التى يحضرها الساحرون والساحرات معهم مساهمة منهم فى تكريم السحرة الجدد ، وكذلك بقايا من جثث الحيوانات والمشروبات المزدوجة بالدماء ، وروث البهائم ويقضى الجميع ليلتهم فى أكل وشرب ورقص وطرب وما إليها من أنواع الفجور حتى مطلع الفجر .

وفى صباح ليلة التعميد يجب على كل ساحر جديد أو ساحرة التوجه لمقابلة (عمدتهم) لتلقى التعليمات الجديدة وعليهم الاتصال

به يومياً للوقوف على آخر القرارات التى اتخذتها الجمعية الشيطانية القاصرة انعقادها على أئمة السحرة وكبار الشياطين وليسلموا للعمدة تقريراً كتابياً عن أعمال السحر التى قاموا بها . . وعلى العمدة مسئوليات كبيرة وجسيمة منها إقامة حفل كل أسبوع مرة على الأقل يجتمع فيه من سحرة منطقته ، وبعض الأرواح الشريرة الخبيثة للتشاور فى أمور المنطقة وبحث حالة سكانها الأغنياء منهم والفقراء وانتحاب من يقومون بإيذائه ونوع الأذى ، ومن تقع عليه القرعة من السحرة لتنفيذها .

وكان السحرة فى كل بلد ومملكة يختارون لحفلاتهم أو اجتماعاتهم الأسبوعية الأماكن المنعزلة المتوحشة حسب طبيعة البلاد . . فكان السحرة الأسبانيون يلجأون إلى أحد الكهوف أو المغارات والفرنسيون يقيمون حفلاتهم الأسبوعية فى الغابات وفى كل من انجلترا واسكتلندا فى الخرائب أو القصور أو المعابد القديمة المهجورة .

* * *

ومما هو جدير بالذكر أن الأشياء المحرمة على الساحر والساحرة (الخبز والملح) فلا يقربهما بتاتاً طول حياته من وقت التوقيع على الميثاق . . كما أنه جرت العادة أن يحضر كل ساحر أو ساحرة إحدى جماجم الموتى بعد تهيئتها على شكل إناء يستعملونه لتعاطى الخمـــــور .

وعليهم المحافظة على هذه الجمجمة وعدم التفريط فيها أو استعمالها بتاتاً إلا فى كل سنة مرة واحدة عند اجتماعهم فى الحفل السنوى الكبير .

* * *

أعمال الساحر :

تتوقف قوة الساحر على عوامل كثيرة منها المدة التى قضاها فى خدمة الشيطان ، القربة أو (القرائن) التى يخصصها الشيطان لخدمته ومساعدته ، ومركز هذا القرين ودرجته فى دولة الأبالسة .

ومن أول واجبات الساحر أن لا يتردد أو يتورع أبداً عن أذية أى مخلوق مهما عظم شأنه وبلغت سطوته . . ويحدثنا تاريخ انجلترا عن محاولة السحرة قتل الملك جيمس السادس بطريقة السم ، وقد دبر مع السحرة خطة موته الدكتور (فيان) الذى كان يعمل سكرتيراً خاصاً للأمير فرنسيس ستيوارت (ايرل موذويل) وقد كانت خطة جهنمية . . فقد لجأ الساحر إلى أحد الكلاب العزيزة التى يعتز بها الملك ومسح على ظهره ببعض السم اعتقاداً منه أنه متى لمس الكلب انتقل إليه السم ومات لوقته ، ولكن يظهر أن الساحر الذى قام بهذه العملية أخطأ فى قراءة تعاويذه للهفته أو سرعـة فى الإنجاز اممـله نسى تلاوتها أو أن الكلب كمخلوق يتأثر بالسم فمات الكلب بعدما صار يتلوى بضعة دقائق وهاجت الحاشية وارتاب الملك فى الأمر ، وشهد بعض جنود

الحراسة أنهم رأوا أحد خدام القصر يمسح على ظهر الكلب قبل موته ببعض دقائق ، وقبض على هذا الخادم وجرى عليه العذاب المألوف فى مثل تلك الأحوال وأقر بالحقيقة وأنه أتى كل ما عمل بناء على أوامر الدكتور فيان المذكور فأعدم الاثنان .

ومن فعل الساحر هلاك الحرث والزرع والبهائم وإشعال الحريق وإصابة التجارة والبضائع بالتلف أو البوار والكساد والصفقات المالية بالفشل والخسارة . وحل الزوج وإصابته أو إصابة الزوجة بالعقم ، وعمل المراهم والدهانات والمشروبات الخاصة بإثارة الغرائز الجنسية أو تقويتها أو إضعافها ، وكذا إجهاض الحامل وإصابة الأفراد باللوثة العقلية أو التوهان والسرحان وعمل مسحون أو بودرة للحب أو الكراهية . ومن أهم ما يعمله الساحر التعاويذ والطلاسم أو الأحجبة التى تجعلك تتزوج بمن تكرهك إذا صممت على أذيتها عندما تكون بكنفك ، وكذلك فسخ الخطوبة أو عقد الزواج قبل الدخول وغير ذلك مما يقصد به التعب والنصب »(١) .

ولكل ساحر أو ساحرة بمنزله أو محل إقامته مهما كبر أو صغر محل خاص ونس ورجس لا يقربه غيره يقوم فيه بعبادة إبليس وبرياضته الشيطانية وبه معمله الذى يجهز فيه أعماله السحرية

---

(١) كتاب السحر (٨٢) .

وموادها ، وهذا المكان لدى الساحر مقدس جداً لا يسمح لأى أحد بالدخول إليه مهما كان . . ويتناسب هذا المعبد وهذا المعمل مع درجة الساحر المالية .

فإن كان فقيراً اكتفى بعمل ستائره من قماش أسود رخيص ، ومفارش من نفس النوع ، وعمل بأدوات زهيدة بسيطة وإن كان غنياً وجب عليه أن لا يبخل بأية مبالغ فى سبيل إعداد هذا المعبد من أغلى وأحسن الأقمشة وأغلى المعدات . . ولكن سواء كان فقيراً أو غنياً فعلى الساحر أن يراعى فى رسم النقوش والرموز على الستائر والمفارش وغيرها كما جاء فى التعليمات السحرية والقوانين الإبليسية .

* * *

أدوات السحر :

للساحر أدوات يستخدمها فى سحره وعليه أن يحتفظ بهذه الأدوات محافظته على روحه بل أكثر ، لأنه يجب استعمالها لأطول مدة ممكنة وإن كان طول عمره يكون أحسن لأنه كلما قدمت الأدوات كلما حست بالأرواح الشريرة ، وحست بالساحر نفسه وصارت جزءا من حياته فيزيد تأثيرها فى العمل ، وملابسه المحرم عليه غسيلها بتاتاً أو تنظيفها إن بليت أجزاء منها فعليه أن يرقعها من نفس القماش ، وإذا اتسخت جداً (وهذا أفضل وأحسن) وصار لها رائحة كريهة حتى يجبر الناس القاصدين إليه

على شمها والتمتع برائحتها النتنة ـ طالما كانوا راغبين فى علمه وفنه ـ نقول إذا اتسخت لدرجة يخشى منها على تمزيقها أو تآكلها ولا ينفع فيها الترقيع والتشتيك فعليه أن يقلبها على ظهرها على شرط أن يلبسها دون ملابس داخلية ، أى تلتصق الرسوم والمعدات التى بها بجسده ، لأن الواجب عليه أن يشترى أو يصنع هذه الملابس والمعدات جديدة ولا يغيرها أبداً مهما تآكلت واتسخت وإذا انكسرت مثلا زجاجة مصباح فعليه أن يرقعها بورق من نفس اللون ، أما إذا انكسرت جميعها فعليه أن يجمع باحتراس بقاياها ويذهب لمقابلة العمدة ليأمر له بشراء غيرها بعد فتح محضر تحقيق لسؤاله عن سبب كسرها ومتى وكيف وبعد توبيخه ونهره وسبه يأمر له بشراء غيرها ، ولا يصدق كلامه لأن من عادات السحرة عدم الثقة فى أى مخلوق كان حتى بعضهم البعض . . وفى مثل تلك الحالات لابد من أخذ الأمر من شيطان كبير الذى يسمح له بشراء زجاجة غيرها بعد ما يصيبه ببضعة أمراض تمنعه عن العمل بضعة أسابيع يندم خلالها ويتحسر ويعلن توبته عن الإهمال الذى تسبب عنه كسر الزجاجة .

وكل هذه التعليمات مشروحة ومستوفاة فى كتب السحر وعلى الساحر أن يفهمها جيداً ولا توجد كلمة تأسف فى قاموس الأبالسة وليس هناك رحمة أو شفاعة أو خواطر أو محسوبية ومحاباة .

أما الملابس ومدتها المقدرة للاستعمال عشرين عاماً ، فإذا

ما أصبحت مهلهلة ممزقة مخرمة فضلا عن نتانتها فعلى الساحر إن أراد تغييرها حتى لا يتأثر عمله من ضياع أو طمس الرسوم والعلامات التى بليت من عليها فعليه أن يقدمها فى الحفلة السنوية إلى سيد الشياطين لاستئذانه فى تغييرها ، وهذا السيد له الخيار بعد الاطلاع على الملابس أن يأمر الساحر بتغييرها أو الاستمرار فى لبسها عاما آخر أو عامين ولكن مهما كان الأمر فالشيطان لا يعفى الساحر من بضعة ركلات فى وجهه ورأسه حتى يكون أشد حذراً وحرصاً عند استعمال هذه الملابس . وبطبيعة الحال مهما طال عمر الساحر عليه ألا يغير ملابسه أو أدواته إلا مرة واحدة لأن هذا مما يؤثر فى عمله السحرى كثيراً لما يستلزمه من تدريب وترويض الأرواح الشريرة التى تساعده على الأشياء الجديدة التى يستبدل بها المكسور أو الهالك من معداته(١) .

* * *

الأغرب فى السحر :

الأغرب فى أمر السحر والسحرة أنه مع ما يبذله الساحر من جهد وتعب وما يقدم عليه من تضحيات فى سبيل اتباع التعاليم الشيطانية ورضاه بالذل والخنوع وارتكابه المعاصى والمخازى وبيع روحه ، وكل ما يملك لإبليس فإن جزاءه من الشيطان

---

(١) السابق بتصرف (٨٩) .

لا يتناسب البتة مع كل هذا الجهد وتلك التضحيات لأن عمل الساحر لا يدوم بصفة مستمرة ، فله مدة يبطل ويفسد تأثيره خلالها أو بعد انتهائها ، فمن الأعمال السحرية ما يدوم ثلاثة أيام فقط ، وهى أقل مدة ، ومنها ما يمكث أسبوعين أو شهراً ، ومنها ما يمكث سنوات ، وذلك حسب مقدرة الساحر والقرين الذى يساعده ومركزه ونوع عمل السحر ذاته والمواد المستعملة فيه والغرض الذى يساعده ومركزه ونوع عمل السحر ذاته ، والمواد المستعملة فيه ، والغرض منه ، فإذا ما أراد الساحر استمرار تأثير سحره — وغالباً يريد — فعليه إعادة العمل وتكراره — وهذه حيلة شيطانية غريبة تدل القارئ على مدى سعة حيلة الشيطان وعظم دهائه — يربط بها الساحر إلى عجلته طول حياته ويجبره على طلب مساعدته طول عمره ويشعره بحاجته إليه دائماً أبداً لنجاح أعماله واستمرار هذا النجاح .

والأغرب من هذا أن الساحر إذا مرض أو جاع أو افتقر — وغالباً ما يحدث هذا — أو حلت به أو بأحد أقاربه مصيبة فإن سيده الشيطان يتنكر له ويدعى عدم معرفته به ويتخلى عنه كلية . . وإذا ما توسل إليه الساحر واستدعاه ليخلصه من كربه فإنه يظهر إليه ويهزأ من بليته ويلوح له بصورة عقده المحرر بنفسه والموقع عليه بدمائه ويخبره أن العقد المبرم بينهما لم ينص على مساعدته له أو تخليصه إذا حلت به نائبة أو أكثر وأن الشيطان

غير ملزم إلا بشيء واحد فقط هو مساعدة الساحر فى تحقيق أغراضه لأذية الغير أو لنشر الفساد بين الناس وإصابتهم بالضرر والمكروه ، أما أن الشيطان يشفى الساحر إذا مرض أو يعيد إليه ماله إذا خسر ، أو يخلص رقبته من حبل المشنقة فهذه كلها أمور مفيدة لا يفهمها الشيطان ولا يقرها لأن كل عمله وهمه موجه للأذية والضرر .

ومن جهة أخرى فإن الشيطان لا يميل للوفاء بوعده لأنه مخادع منافق كاذب محتال ، وقد أقر كثير من السحرة أنه عند مقابلتهم للشيطان فى أول مرة ظهر لهم بوجهين أعنى على حقيقته شأنه شأن المنافقين المضللين . كذا من المشهود عن الشيطان أنه الخبث والدهاء والخيانة مجسما فكيف تنقلب هذه الصفات إلى ضدها لخاطر ساحر ماكر باع روحه ونفسه طائعاً مختاراً دون مقابل . . ولا يكتفى الشيطان بهذا ، لأنه عند استلامه العقد من الساحر يحتم أن ينص فيه الأخير على بيع روحه وكل ما يملك للشيطان أثناء حياة الساحر وبعد موته ، فبعد حرق الساحر أو إعدامه تذهب روحه إلى جهنم حيث ترتع الأرواح الشريرة الضالة كما أن ماله يذهب مهما كان كثيراً وهو مازال على قيد الحياة ، فإن كان الساحر متزوجاً أصابه الشيطان وأصاب عائلته بكل ما يتصوره العقل من أمراض ومشاكل تأتى على ماله كله وإذا كان عزباً خالياً سلط عليه الشيطان من يمهد له طرق

المصاربة والميسر حتى يفقد كل ثروته ، وللآن لم يمت ساحر جمع مالا عظيماً من سحره وترك وراءه أية ثروة مهما كانت ضئيلة ، بل كلهم ماتوا فقراء مرضى مهمومين مغمورين .

ومن أول يوم يدمغ الشيطان فيه الساحر بعلامته — بعد تعميده وبذلك يصبح الساحر شيطاناً رسمياً مثبوتاً اسمه فى سجل الدولة الإبليسية — يتناول الشيطان سحنة الساحر فيقلبها بشكل قبيح مكروه ثم يستلم جسده مهما كان غليظاً مهلكاً مرهوطاً مترهلا فيغيره إلى هيكل عظمى يكسوه بجلد خشن صفيق ثم ينقش على جبينه ووجهه التجاعيد ثم يصيبه بإحدى العاهات الظاهرة وغالباً يجعله (أعرج) ثم ينزل على قلبه فينزع منه كل معانى الحب والرحمة والعطف والجمال وكل صفة جميلة أو عاطفة نبيلة ويستبدلها بالخبث والحقد والنهم والطمع والبغضاء . . ويمسك عقله فيلويه ليّة لولبية فيجعله لا يفكر إلا فى الرذيلة والمعصية والأذى . . وعلاوة على كل هذه الهبات التى يغدقها الشيطان على الساحر أو الساحرة فإنه يعطيه حاسة للنظر وأخرى للشم لا مثيل لها حتى بين الحيوانات ، فالساحر أو الساحرة لا تستعمل النظارات مهما طال بها السن وتستدل بحاسة الشم على أى شخص غريب أو قريب على أى بعد ، وأيضاً فإن حاسة السمع فيها تقوى لدرجة مدهشة فتسمع كل خافتة وكل همسة وفضلا عن كل هذا يمنح الشيطان للسحرة شهوة بهيمية فائقة تجعلهم عرضة للتهتك والفضيحة .

وبطبيعة الحال عندما يشعر الساحر أن كل هذه الصفات غير الحميدة صارت كل كيانه ويدور عليها عمله وحياته ونشاطه فإنه يحس بأنه شخصاً غير بنى آدم مبغوضاً منبوذاً من الجميع ، وهذا مما يدعوه إلى أن يبغضهم ويعاديهم ويسعى فى هلاكهم فيميل للعزلة والوحدة والبعد عن الناس ومعاملاتهم .

ولعل أهم صفة يدفع بها الشيطان عبده الساحر هى صفة (الشك) ، فالساحر يشك فى كل شيء ولا يثق بشيء ولا يصدق أى شيء أو أى إنسان وتتأصل هذه الصفة الممقوتة فى روحه وعقله وقلبه حتى يخشى منها على قدرته ومقدرته فى انجاز واجبه وعمله . . فلذا نجده عند القيام بأعمال السحر يعملها فى تؤدة تامة وحذر شديد وهو طول الوقت يتلو تعاويذه وكلماته متملقاً الشيطان متوسلا إليه لنجاح عمله وقد غرس الشيطان صفة الشك فى قلب الساحر وعقله حتى تضطره دائماً أثناء عمله إلى ذكر الشيطان والتقرب إليه ورجائه لنجاح عمله وهذا مما يوثق صلته بالشيطان فيصبح الساحر عبداً ذليلا ينام ويصحو ويفكر والشيطان على لسانه وفى قلبه وفكره والعياذ بالله(١) .

* * *

(١) السابق (٩٣) .

القــرين

عندما ينتهى الشيطان أو مندوبه من تعميد جميع السحرة والساحرات ويختار لكل واحد منهم اسماً يقيده فى سجل الأرواح الشريرة ويصبح اسمه الرسمى فى كل ما يتعلق بالسحر والسحرة ويختفى اسمه العادى من الوجود — يهب الشيطان لكل منهم على سبيل الهدية قريناً أو قرينة واحدة . . ولا يشترط بتاتاً أن تكون الهدية من مقام المهدى إليه ، فهذا لا اعتبار له بتاتاً عند الشيطان كما أنه لا يشترط أن يهدى قريناً ذكراً إلى ساحر ذكر أو العكس فكل هذا متروك أمره للشيطان فهو صاحب الاختيار والفضل .

والقرين عبارة عن إحدى الأرواح الشريرة الضالة ويختارها الشيطان من حثالة المملكة الشيطانية لتقوم على خدمة الساحر ومساعدته وتعليمه اللغات السحرية وإرشاده فى طريقة أعماله وقضاء مصالحه وغيرها من الأعمال التى يسخره فيها الساحر .

ولذا كان مركز القرين الأدبى أو الاجتماعى فى الدولة الإبليسية فى منتهى الاحتقار والتفاهة لا تعلو عن وظيفة العبيد والأرقاء فطبيعة العمل بين القرين والرق واحدة من حيث التعب والكد والتعرض للإهانة . . بل إن وظيفة القرين أثقل وأتعب من وظيفة العبد لأنه على القرين يتوقف كل نجاح الساحر ، فهو

الذى يحضر الأعشاب اللازمة للعمل من أية جهة كانت وعليه توصيل الرسائل بين السحرة وموافاة الساحر بأخبار الناس ونتيجة السحر الذى عمله لهم وغير ذلك مما يحتاج إليه الساحر احتياجاً تاماً فى عمله .

وكل ساحر او ساحرة عند استلام القرين لابد أن تعطى منه إيصالات للشيطان لأنه (عهدة) ملك للشيطان أو أحد الأبالسة الكبار وله حق استرداده أو استبداله من الساحر أو حرمانه منــه ... إلخ .

وكل ساحرة عند استلام القرين بعد تعميدها مباشرة يطلع لها فى إحدى الأجزاء فى جسدها وغالباً تحت الإبط وخن الورك وغيرها من الأماكن الكثيرة العرق والمعرضة للتلوث والقذارة أكثر من غيرها من أعضاء الجسد وتنبعث منها رائحة كريهة إذا لم تباشرها بالغسل والنظافة يومياً — تطلع لها حلمة كحلمة الثدى يرضع منها القرين يومياً قبل ابتداء عمله اليومى حتى إذا ما أخذ قسطه من الرضاعة أخذت الساحرة دبوساً برأس صغيرة دائرته سوداء وتنخس به قدمها أو بدنها حتى ينبثق الدم فيمص القرين منه بضعة قطرات على سبيل (التحلية) من بعدها يكون مستعداً للأوامر . . لأن أحب الأشياء إلى الأرواح الخبيثة الدماء والروائح الكريهة المنبعثة من الأجساد القذرة ومجمع القاذورات والرمة والجيفة وهم ملتفون حولها يلتهمونها بشراهة ومتعة . . كما أنهم

يفرون ويولون الأدبار من الروائح الزكية ، ولذا جرت العادة فى بعض المنازل باستعمال البخور الزكى الرائحة لطردها من المنزل . . فإذا كان هذا أمر هذا القرين وحبه للقاذورات والروائح الكريهة فتصور انبساطه وسروره وزيادة متعته عند رضعته من الساحرة من هذه الأماكن إذا علمت أنه محرم على الساحر والساحرة الاستحمام أو النظافة من ساعة التعميد .

وفى معظم الحالات يظهر القرين على شكل كلب أو عرسة أو أرنب أو ضفدعة أو برص أو عنكبوت ... إلخ من الحيوانات الأليفة الحقيرة كما أنه فى بعض الحالات المتقدمة التى يكون فيها الساحر أو الساحرة قد زاولا المهنة لسنين طويلة يظهر القرين على شكل أسد أو خرتيت أو غيرها من الحيوانات المفترسة . وفى بعض الحالات النادرة يظهر القرين على شكل صبى أو فتاة أو شاب أو رجل كباقى الآدميين وفى هذه الحالات يظهر لابساً من لون واحد فاتح من لونه سيده الشيطان الكبير التابع لفرقته .

وفى بعض الحالات النادرة التى يهمل فيها الساحر القرين بالانصراف أو يسهو عن باله صرفه لانشغاله بأعمال أخرى يجد القرين الفرصة سانحة للاختفاء والهروب كما يريد وعلى الساحر أن يقدم حساباً عسيراً للشيطان عن هذا الإهمال الذى سبب خسارة جسيمة للدولة ويستعد للعذاب الأليم الذى سيصيبه ويصيب أفراد عائلته (إذا كان له عائلة) بسبب هذا التقصير . . وفى أول حفلة

يقيمها السحرة يصر مندوب الشيطان على أخذ أحد أولاد أو بنات الساحر مكان القرين المفقود فيطيع الساحر الأمر ويسلم نجله إلى الشيطان الذى يخفيه ويحيله إلى روح شريرة يأمرها بالخدمة فى جهات نائية جداً بحيث لا يراه ولا يسمع بخبره الساحر طوال حياته . . أما فى الحالات التى لم يكن فيها للشيطان ذرية ، وكثيراً من يفضل البقاء دون زواج أو يتخذ رفيقة من نساء الأبالسة — يخطف الشيطان روح الساحر لتقوم مقام القرين .

ومن أول يوم يستلم القرين عمله عند الساحر يفهم حالته المالية والنفسية والثقافية ... إلخ ، وكل ما يتصل به وبأفراد عائلته . . فإذا كان الساحر فقيراً — وهذا الأغلب — فإن القرين يصف له الوصفات المركبة من مواد رخيصة لاستعمالها فى أعماله وبالعكس إذا كان الساحر غنياً فإنه يصف له المواد الباهظة الثمن النادرة الوجود ومنها بعض الأحجار الكريمة لأن من أول واجبات القرين أن يأتى على مال الساحر الغنى بكافة الطرق . . حتى فى الأحوال التى يغتنى فيها الساحر من السحر ويجمع ثروة منه فإن القرين يدله على الطرق الشيطانية التى يخسر فيها أمواله قبل وفاته .

وعندما تحين الفرصة للقرين للهروب من الساحر ويغتنمها فإنه لتلهفه على النجاة يدخل أى منزل به أطفال صغار فى سن الرضاعة

ويتسرب إلى جسد الرضيع ويسكن فيه فتنقلب سحنة(١) الطفل فوراً ويصير شكله مثل القردة والعياذ بالله حتى يصعب على أهله معرفته عند رؤيته وتسميه بعض الناس (مبدول) أعني أخذته الشياطين واستبدلته بأحد غلمانهم ، وهذا اعتقاد فاسد باطل لأنه لا حاجة للشيطان من خطف طفل واستبداله بغيره من أبنائهم . . والحقيقة أن الروح الخبيثة التي حلت بجسده هي المسئولة عن تغيير سحنته إلى ذلك الشكل المرعب وتبقى ساكنة في جسد هذا الطفل سواء كان ولداً أو بنتاً طول عمره .. وعندما تحل الروح الخبيثة بجسد طفل تعوق نمو جسده فيحتفظ بحجم أعضاء جسمه ولكن تكبر هيئته . . وسنبحث إن شاء الله كيف نطرد روحاً خبيثة حلت بجسد آدمي .

والقرائن المخصصة للفتك بالأشخاص أو إصابتهم بمرض يستعصى شفاؤه لا يحضرون للساحر بمفردهم بل لابد من حضور رئيسهم الشيطان الكبير الخاص بهذه العملية . . وهو عادة يقوم بعد ما يؤدى الساحر جميع الفرائض التي تتطلب حضوره بتغيير القرين إلى شكل ممرضة تستخدم في تمريض المرضى ، وبهذه الوسيلة تدس لهم السم في الدواء أو الطعام فيقضى عليهم دون أن يعثر لهم على أثر وقد تسببوا بهذه الوسيلة في موت الملك إدوارد السادس عند مرضه(٢) .

---

(١) سحنة الطفل بفتحتين : الهيئة وقد تسكن .

(٢) كتاب السحر (١٣٥) بتصرف .

قال تعـــالى :

« فلما آتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ، وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ، أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين . قال رب إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ، وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون ، قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا . « قالوا : ما هذا إلا سحر مفترى ، وما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ، وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ، وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لاظنه من الكاذبين ، واستكبرهو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ، فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين »(١) .

---

(١) القصص : ٣٠ – ٤٠ .

وقال جل شأنه فيما ترتب على ذلك من مناظرة بين موسى والسحـــرة :

« قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين ، فالقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ، قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم ، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ، قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين ، يأتوك بكل سحار عليم ، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ، لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين ، قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعـــون إنا لنحن الغالبون ، فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين »(١) .

لأن السحرة كانوا يرون حبالهم وعصيهم حبالا فسحرهم سحر أعين الناس ، لأنه كما قلنا فإن الساحر لا يستطيع أن يغير من حقائق الأشياء وإنما يحولها من صورة إلى أخرى ، فلما رأوا أن عصا موسى لم تكن سحراً لأنهم رأوها حية . . آمنوا وعلموا أنه من عند رب العالمين .

---

(١) الشعراء : ٣٠ – ٤٩ .

وقال تعالى :

« واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »(١) .

فى هذه الآيات دلالات ظاهرة على قبح السحر وأنه إما كفر أو كبيرة كما يأتى فى الأحاديث .

والشياطين هنا مردة الجن لأنهم كانوا يسترقون السمع من السماء ويضمون إليه أكاذيب يلقونها إلى الكهنة دونوها فى كتب وعلموها الناس ، وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام ، وقالوا : إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم ملكه إلا به وبه سخر الجن والإنس والطير والريح التى تجرى بأمره ومردة الجن لما روى أن سليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان قد دفن كثيراً من العلوم التى خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفاً على أنه إن هلك الظاهر من تلك العلوم يبقى هذا المدفون منها فبعد مدة توصل منافقون إلى أن كتبوا فى خلالها أشياء من

(١) البقـــرة : ١٠٢ .

السحر تناسب تلك الأشياء من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموا الناس أنه من عمل سليمان وأنه ما وصل إلى ما وصل إليه إلا به .

ثم إضافتهم السحر لسليمان إما لتفخيم شأن السحر لتقبله الناس وإما لقول اليهود إنه ما وجد ذلك الملك إلا بالسحر وإما لأنه لما سخرت له الجن وكان يخاطبهم ويستفيد منهم أسراراً عجيبة غلب على الظنون الفاسدة أنه حاشاه الله من ذلك استفاد السحر منهم وذلك السحر كفر ولذلك برأه الله تعالى بقوله :

سليمان الدال على أنهم نسبوه للكفر كما روى عن بعض أحبار اليهود أنهم قالوا : ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبياً وما كان إلا ساحراً .

وروى أن سحرة اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وبين أن ذلك الكفر القبيح إنما هو لاحق بهم لقوله تبارك وتعالى :

« ولكن الشياطين كفروا »(١) .

ابن حجر المكي فى حديث عن السحر :

قال فى الزواجر : « والسحر لغة كل ما لطف ودق مر

(١) السابقة .

سحره إذا أبدى له أمراً فدق عليه وخفى ومنه فلما ألقوا سحروا أعين الناس »(١) .

وهو مصدر شاذ إذ لم يأت مصدر لفعل يفعل بفتح عينه فيهما على فعل بكسر فسكون إلا هذا الفعل والسحر أوله الغذاء لخفائه والرئة وما تعلق بالحلقون وهو يرجع لمعنى الخفاء أيضاً ومنه قول عائشة رضي الله عنها « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى » . وقوله تعالى : « **إنما أنت من المسحرين** » (٢) معناه من المخلوفين الذين يطعمون ويشربون بدليل قوله : « **ما أنت إلا بشر مثلنا** » (٣) . أى وما أنت إلا ذو سحر مثلنا .

وشرعاً : يختص بكل أمر يخفى سببه وعمل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع وحيث أطلق فهو مذموم ، وقد يستعمل مقيداً فيما ينفع ويمدح ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً »(٤) ، أى لأن صاحبه يوضح المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته ، والقول بأنه خرج مخرج الذم للفصاحة والبلاغة إذ شبهه بالسحر بعيد .

واستدل له بما لا دلالة فيه وهو قوله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة الأعراف : ١١٦ .
(٢) سورة الشعراء ١٨٥ .
(٣) سورة الشعراء : ١٨٥ .
(٤) الحديث أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عباس ، وأبو داود عن بريدة . قاله السيوطى فى الجامع ضعيف : (٨٨) دار القلم .

« فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » . وقوله :
« إن أبغضكم إلى الثرثارون . والثرثرة كثرة الكلام
وترديده يقال ثرثر الرجل فهو ثرثار مهذار والمتفيقهون نحوه ،
ويقال فلان يتفيهق فى كلامه إذا توسع وتنطع ، نعم نقل هذا
القول أعنى أن ذلك ذم عن عامر الشعبي راوى الحديث وصعصعة
ابن صوجان .

أما قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » ،
فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق
فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو عليه ، وإنما يحمد العلماء
البلاغة واللسانة ما لم تخرج إلى حد الإطناب والإسهاب وتصوير
الباطل فى صورة الحق وعلى القول الأول أعنى أن ذلك مدح
للفصاحة المبينة للحق ، والرافعه لأشكاله ، فإنما سمى ما يوضح
الحق سحراً وهو إنما قصد به إظهار الخفاء لا إخفاء الظاهر عكس
ما يدل عليه لفظ السحر لأن ذلك القدر للطفه وحسنه استمال
القلوب فأشبه السحر الذى يستميل القلوب من هذا الوجه وأيضاً
فالقادر على البيان يكون غالباً قادراً على تحسين القبيح وتقبيح
الحسن فأشبه السحر من هذا الوجه أيضاً .

* * *

حقيقة السحر عند علماء المسلمين :

واختلف العلماء فى أن السحر له حقيقة أم لا . فقال بعض العلماء أنه تخييل لا حقيقة له لقوله تعالى :

« يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »(١) .

وقال الأكثرون : — وهو الأصح — الذى دلت عليه السنة له حقيقة لأن اللعين لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر صلى الله عليه وسلم بإخراج سحره من بئر أروان بدلالة الوحى له على ذلك ، فأخرج منها فكان ذا عقد فحلت عقده فكان كلما حلت منه عقدة خف عنه صلى الله عليه وسلم إلى أن فرغت فصار صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقـــال .

وذهب ابن عمر رضى الله عنهما إلى خيبر ليخرص ثمرها فسحره اليهود فانكتفت يده فاجلاهم عمر .

وجاءت امرأة إلى عائشة رضى الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما على المرأة إذا عقلت بعيرها ؟ فقالت عائشة : ولم تفهم مرادها : ليس عليها شىء . فقالت : إنى عقلت زوجى عن النساء . فقالت عائشة رضى الله عنها : اخرجوا عنى هذه الساحرة .

---

(١) سورة طه : ٦٦ .

الخلاصة :

والجواب عن الآية أنا لا نمنع أن من السحر ما هو تخييل بل منه ذلك وما له حقيقة .

وإنما أثر السحر فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعـــالى :

إما لأن المراد منه عصمة القلب والإيمان دون عصمة الجسد عما يرد عليه من الحوادث الدنيوية ، ومن ثم سحر وشج وجهه وكسرت رباعيته ورمى عليه الكرش والتراب وأذاه جماعة من قريش ، وأما لأن المراد عصمة النفس عن الانتلات دون العوارض التى تعرض للبدن مع سلامة النفس وهذا أولى به هو الصواب لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحرس فلما نزلت الآية أمر بترك الحرس(١) .

* * *

وحكى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : السحر يخبل ويمرض ويقتل وأوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه فإذا تلقاه منه استعمله فى غيره وقيل أنه يؤثر فى قلب الأعيان ، وقيل : الأصح أنه تخييل لكنه يؤثر فى الأبدان بالأمراض والموت والجنون وللكلام تأثير فى الطباع

---

(١) الزواجر (٥٠٠) ، طبعة دار الشعب .

والنفوس كما إذا سمع إنسان ما يكره فيحمر ويغضب وربما حم منه ومات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العلل التى تؤثر فى الأبدان .

قال القرطبي : قال علماؤنا : لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات بما ليس فى مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضد إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات العباد قالوا : ولا يبعد فى السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج فى الكوات والانتصاب على رأس قصبة والجرى على خيط مستدق ، والطيران فى الهواء ، والمشى على الماء ، وركوب كلب وغير ذلك ولا يكون السحر علة لذلك ولا موجباً له وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الأكل والرى عند شرب الماء .

وروى سفيان عن عامر الذهبى أن ساحراً كان عند الوليد ابن عقبة يمشى على الحبل ويدخل فى است الحمار ويخرج من فيه فاشتمل جندب على سيفه وقتله به وهو جندب بن كعب الأزدى ويقال الويقال البجلى وهو الذى قال النبي صلى الله عليه وسلم فى حقه يكون فى أمتى رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بها بين الحق والباطل فكانوا يرونه جندباً هذا قاتل السحر . (١)

* *

قال القرطبي : أجمع المسلمون على أنه ليس فى السحر ما

---

(١) الزواجـــر (٥٠١) .

يفعل الله عنده إنزال الجراد والقمل والضفدع وفلق البحر وقلب العصا وإحياء الموتى وإنطاق العجماء وأمثال ذلك من آيات الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام .

والفرق بين السحر والمعجزة أن السحر يأتي به وغيره أى من كل من تعلم طريقة وقد يكون جماعة يعلمونه ويأتون به فى وقت واحد وأما المعجزة فلا يمكن لغير الله تعالى أن يأتى بمثلها ومعارضتها .

رأى للفخر الرازى :

قال الفخر : واتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »(١) .

ولو لم يعلم السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بكون المعجزة معجزاً واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً وما يكون واجباً (٢) كيف يكون واجباً حراماً وقبيحاً ونقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتى حتى يعلم ما يقتل منه وما لا يقتل به فى وجوب القصاص . أهـ

(١) سورة الزمر : ٩ .

(٢) قصد الإمام الفخر الرازى تعلم ما يجب علمه عن السحر ، ولم يقصد تعلم لاستخدامه فى أذى الناس ، فما لاشك فيه أن الإلمام بعلوم حقيقة السحر والوقوف على أعمال الساحر وعقد الشيطان وحياة السحرة ينفر العاقل من السحر والسحرة ، ويرسخ وحشية وبهيمية السحرة ، وتؤكد كذب الدجالين وصانعى الألعاب ، ويطمئن الناس أن الإسلام قد عالج المسحور وأبطل عمل الساحر ، ولهذا وضعنا هذا الكتاب وسيأتى ابطال السحر .

ابن حجر الهيثمي يرد على الفخر الرازى :

ما قاله الفخر الرازى فيه نظر وبتسليمه فهو لا ينافى ما قدمناه فيما سبق من أن تعلمه وتعليمه كبيرتان لأن الكلام ليس فيهما وإنما هو فى شخص تعلمه جاهلا بحرمته أو تعلمه عالماً بها ثم تاب فما عنده الآن من علم السحر الذى لا كفر فيه هل هو قبيح فى ذاته وظاهر أنه ليس قبيحاً لذاته وإنما قبحه لما يترتب عليه وما نقل عن بعضهم غير صحيح لأن افتاءه بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة إفتائه إن شهد عدلان عرفاً السحر وتاب منه أن يقتل غالباً قتل الساحر وإلا فلا كذا ، وكذا العلم بالمعجزة لا يتوقف على العلم بالسحر لأن أكثر العلماء أو كلهم إلا النادر عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر وكفى فارقاً بينهما أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدى بخلاف السحر فبطل قول الفخر لما أمكن الفرق . . الخ وأما كونه خارقاً فهو أمر يشترك فيه السحر والمعجزة وإنما يفترقان باقترانها بالتحدى بخلافه فإنه لا يمكن ظهوره على يد مدعى نبوة كاذباً كما جرت به عادة الله عز وجل المستمرة صوناً لهذا المنصب الجليل عن أن يتسور حماه الكذابون ، وقد مر عن القرطبي أن المسلمين أجمعوا على أنه ليس فى السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد وغيره مما سبق فهذا ونحوه ما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة الساحر .

قال القاضي الباقلاني :

« وإنما منعنا ذلك للإجماع ولولاه لأجزناه » أ . هـ .

* * *

هاروت وماروت :

قوله تعالى : « وما أنزل على الملكين » فى أربعة أقوال أظهرها أنها موصولة عطفاً على السحر أى يعلمون الناس السحر والمنزل على الملكين وقيل نافيه أى وما أنزل على الملكين إباحة السحر وقيل موصوله محلها جر عطفاً على ملك سليمان لأن عطفها على السحر يقتضى أن السحر ، نازل عليهما فيكون منزله هو الله وذلك غير جائز وكما لا يجوز فى الأنبياء أن يبعثوا لتعليم السحر ، فالملائكة أولى وكيف يضاف إلى الله ما هو كفر وإنما يضاف للمردة والكفرة وإنما المعنى أن الشياطين نسبوا السحر إلى ملك سليمان والمنزل على الملكين مع أن ملكه والمنزل عليهما بريئان من السحر بل المنزل عليهما هو الشرع والدين وكانا يعلمان الناس قبوله والتمسك به فكانت طائفة تتمسك وأخرى تخالف . أ . هـ .

واعترض الفخر الرازى بأن عطفه على ملك بعيد فلا بد له من دليل وزعم أنه لو كان نازلا عليهما لكان منزله هو الله لا يضر لأن تعريف صفة الشيء قد يكون لأجل الترغيب فيه حتى يوجده المكلف وقد يكون لأجل التنفير عنه حتى يحترز عنه كما قيل :

عرفت الشر لا للشر بل لتوقيه ، وزعم أنه لا يجوز بعثة الأنبياء لتعليمه لا يؤثر أيضاً لأن المراد هنا بيان فساده وإبطاله ، وزعم أن تعليمه كفر ممنوع وبتسليمه هي واقعة حال يكفي في صدقها صورة واحدة وزعم أنه إنما يضاف للمردة والكفرة إنما يصح أن أريد به العمل لا التعليم لجواز أن يكون العمل منهياً عنه وتعليمه لغرض التنبيه على فساده مأموراً به .

وما تقرر أنهما ملكان هو الأصح الذى عليه الأكثرون وقرئ شاذاً بكسر اللام فيكونان أنسيين وسيأتى ما فيه ، والباء فى ببابل بمعنى فى سميت بذلك قيل لتبلبل ألسنة الخلق بها لأن الله تعالى أمر ريحاً فحشرتهم بهذه الأرض فلم يدر أحدهم ما يقول الآخر ثم فرقتهم الريح فى البلاد فتكلم كل واحد بلغة ، والبلبلة التفرقة ، وقيل لما أرست سفينة نوح بالجودى نزل فبنى قرية وسماها ثمانين باسم أصحاب السفينة فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة وقيل لتبلبل ألسنة الخلق بها عند سقوط صرح نمرود وهى بابل العراق .

وقال ابن مسعود : بابل أرض الكوفـــة .

* * *

والجمهور على فتح تاء هاروت وماروت وهما بناء على فتح لام الملكين بدل منهما وقيل من الناس بدل بعض من كل وقيل بل هما بدل من الشياطين وقيل نصباً على الذم أى أذم هاروت

وماروت من بين الشياطين كلها ، ومن كسر لامهما أجرى فيهما ما ذكر . .

نعم إن فسر الملكان بداود وسليمان كما ذكره بعض المفسرين وجب فى هاروت وماروت أن يكونا بدلا من الشياطين أو الناس وعلى فتح اللام قيل هما ملكان من السماء اسمهما هاروت وماروت وهو الصحيح للتصريح به فى الحديث . . وقيل هما جبريل ، وقيل داود وسليمان ، وقيل رجلان صالحان على بابه من التعليم ، وقيل يعلمان من أعلم إذا الهمزة والتضعيف يتعاقبان إذ الملكان لا يعلمان السحر إنما يعلمان بقبحه ومن حكى أن يعلم بمعنى أعلم ابنا الأعرابى والأنبارى .

ثم القائلون بأنهما ليسا من الملائكة احتجوا بأن الملائكة لا يليق بهم تعليم السحر ، وبقوله تعالى « لو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون »(١)، وبأنهما لو نزلا فى صورتى رجلين كان تلبيساً وهو لا يجوز وإلا لجاز فى كل شواهد من آحاد الناس أنه لا يكون رجلا حقيقة لاحتمال أنه ملك من الملائكة .

أولا فى صورتى رجلين نافٍ لقوله تعالى :

« ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا »(٢) .

ويجاب عن الأول بما مر أن المحذور تعليمه للعمل به لا لبيان فساده .

---

(١) ٨ : الأنعام .

(٢) ٩ : الأنعام .

وعن الثانى بأن المراد لو أنزلنا ملكاً رسولا داعياً إلى الناس لجعلناه رجلا حتى يمكنهم الأخذ عنه والتلقى منه وما هنا ليس كذلك فلا محذور فى كون الملك على غير صورة الرجل .

وعن الثالث بأنا نختار أنهما ليسا فى صورتى رجلين ولا منافاة بين ذلك وتلك الآية كما بيناه وعلى أنهما فى صورة رجل فإنما يجوز الحكم على كل ذات بأنها ملك فى زمن يجوز فيه إنزال الملائكة كما أن صورة وحيه من كان يراها بعد علمه أن جبريل ينزل فيها لا يقطع بأنها صورة وحيه لاحتمال أنها جبريل وقد أجاب بعض المفسرين عن تلك الحجج بما لا يجدى بما فيه نظر ظاهر .

واعلم أن المفسرين ذكروا لهذين الملكين قصة عظيمة طويلة حاصلها أن الملائكة لما اعترضوا بقولهم .

« أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء »(١) .

ومدحوا أنفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أراهم الله تعالى ما يدفع دعواهم فركب فى هاروت وماروت منهم شهوة وأنزلهما حاكمين فى الأرض فافتتنا بالزهرة مثلت لهما من أجمل النساء فلما وقعا بها خُـيراً بين عذابى الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان إلى يوم القيامة . . .

ونازع جماعة فى أصل ثبوت هذه القصة وليس كما زعموا

---

(١) البقـــرة : ٢٠ .

لورود الحديث بل صحته بهما ، ومن جملته أنها لما مثلت لهما وراوداها عن نفسها أمرتهما بالشرك فامتنعا ثم بالقتل فامتنعا ثم بشرب الخمر فشرباها ثم وقعا بها وقتلا ثم أخبرتهما بما فعلاه فخيرا كما ذكر ، ومن المنازعين الفخر قال : هذه القصة رواية فاسدة مردودة ليس فى كتاب الله ما يدل عليها بل فيه ما يبطلها من وجوه .

الأول: عصمة الملائكة من كل ذنب ويجاب بأن محل العصمة ما داموا بوصف الملائكة ، أما إذا انتقلوا إلى وصف الإنسان فلا على أنه يعلم من الحديث المذكور أن ما وقع لهما إنما هو من باب التمثيل لا الحقيقة لأن الزهرة تمثلت لهما امرأة وفعلت بهما ما مر دفعاً لقولهم .

« أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »(١) .

الثانى : زعم أنهما خيرا بين العذابين فاسد بل كان الأولى أن يخيراً بين التوبة والعذاب لأن الله خير بينهما من أشرك طول عمره فهذان أولى ، ويجاب بأن ذلك إنما فعل تغليظاً فى العقوبة عليهما ولا يقاسان بمن أشرك لأن الأمور التوقيفية لا مجال للرأى فيها

الثالث : من أعجب الأمور أنهما يعلمان الناس السحر فى حال كونهما يذنبان ويدعوان إليــه وهما يعاقبان بأنه لا عجب فى

---

(١) البقــرة : ٣٠ .

ذلك إذ لا مانع أن العذاب يفتر عنهما فى ساعات فيعلمان فيها لأنهما أنزلا فتنة عليها لما وقع لهما مما ذكر وعلى الناس لتعلمهم منهما السحر .

قال بعضهم والحكمة فى إنزالهما أمــور :

أحدهما : أن السحرة كثرت فى ذلك الزمن واستنبطت أنواعاً عجيبة غريبة فى النبوة ، وكانوا يدعونها ويتحدون الناس بها فأنزل الله الملكين ليعلما الناس السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك السحرة المدعين للنبوة كذباً وهذا غرض ظاهر .

ثانيها : أن العلم بأن المعجزة مخالفة للسحر . . يتوقف على علم ما هيتها والناس كانوا جاهلين ماهية السحر فتعذرت عليهم معرفة حقيقته فبعث الله هذين الملكين لتعريف ماهيته وحقيقته لأجل هذا الغرض وهو معرفة الفارق بينهما وسبب إنزال الملكين .

ثالثها : لا يمتنع أن السحر الذى يوقع الفرقة بين أعداء الله والألفة بين أولياء الله كان مباحاً عندهم أو مندوباً فبعثهما الله لتعليمه لهذا الغرض فتعلم القوم ذلك منهما واستعملوه فى الشر وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والألفة بين أعداء الله .

رابعها : تحصيل العلم بكل شىء حسن ولما كان السحر منهياً عنه وجب أن يكون معلوماً متصوراً وإلا لم ينه عنه .

خامسها : لعل الجن كان عندهم أنواع من السحر لم يقدر

البشر على الاتيان بمثلها فبعثهما الله تعالى ليعلما البشر أموراً يقدرون بها على معارضة الجن .

سادسها : أن يكون ذلك تشديداً فى التكاليف من حيث إنه إذا علم ما يمكنه أن يتوصل به إلى اللذات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان ذلك فى نهاية المشقة يستوجب به الثواب الزائد فثبت بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم السحر ، قال بعضهم وهذه الواقعة كانت زمن إدريس صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم والمراد بالفتنة فى الآية المحنة التى يتميز بها الحق من الباطل والمطيع من العاصى ، وإنما قالا إنما نحن فتنة . . الخ بذلا للنصيحة قبل التعليم أى هذا الذى نصفه لك وإن كان الغرض منه تمييز السحر من المعجزة ولكنه يمكنك أن تتوصل به إلى المفاسد والمعاصى ، فإياك أن تستعمله فيما نهيت عنه واختلفوا فى المراد بالتفريق بين المرء وزوجته فى قوله إنما يكون إن أعتقد أن السحر مؤثر فيه وهذا كفر وإذ كفر بانت زوجته منه وقيل : المراد أنه يفرق بينهما بالتمويه والحيل وذكر التفريق دون سائر ما يتعلمونه تنبيهاً على الباقى فإن ركون الإنسان إلى زوجته زائد على مودة قريبه فإذا وصل بالسحر إلى هذا الأمر مع شدته فغيره أولى ويدل له قوله تعالى :

« وما هم بضارين به من أحد »(١) .

فإنه أطلق الضرر ولم يقصره على التفريق فدل على أنه إنما

---

(١) البقـرة : ١٠٢ .

خص بالذكر لكونه أعلى مراتب الضرر قال الفخر : والإذن حقيقة فى الأمر والله لا يأمر بالسحر لأنه ذمهم عليه ، ولو أمرهم به لما ذمهم عليه فلابد من التأويل فى قوله إلا بإذن الله وفيه وجوه .

أحدها : قال الحسن المراد منه التخلية يعنى إذا سحر الإنسان فإن شاء الله منعه ، وإن شاء خلى بينه وبين ضرر السحر .

ثانيها : قال الأصم إلا بعلم الله إذ الأذان والإذن الأعلام ؛

ثالثها : بخلقه إذا لضرر الحاصل عند فعل السحر لا يكون إلا بخلقه تعالى .

رابعها : يأمره بناء على تفسير التفريق بين المرء وزوجته بالكفر لأن هذا حكم شرعى وهو لا يكون إلا بأمره تعالى والخلاف النصيب فى هذا آكد ذم وأقبح عذاب للسحرة إذ لا أخسر ولا أفحش وأحقر ولا أذل ممن ليس له نصيب فى نعيم الآخرة ومن ثم عقب تعالى ذلك بقوله عز قائلا « ولبئس ما ماشروا » (١) أى باع اليهود به أى بالسحر أنفسهم لو كانوا يعلمون أى لو علموا ذم ذلك هذا الذم العظيم لما باعوا به أنفسهم ، وأثبت لهم العلم أولا بقوله تعالى « ولقد علموا » ونفاه عنهم بقوله ثانياً « لو كانوا يعلمون » لأن معنى الثانى لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعلموا به كأنهم منسلخون عنه أو المراد بالعلم الثانى العقل لأن العلم من ثمرته فلما انتفى الأصل انتفت ثمرته فصار وجود العلم كالعدم حيث لم ينتفعوا به كما سمى الله تعالى الكفار

(١) سورة البقرة : ١٠٢

عمياً وبكماً وصماً إذ لم ينتفعوا بحواسهم أو تغاير بين متعلق العملين أى علموا ضرره فى الآخرة ولم يعلموا نفعه فى الدنيا هذا كله إن كان فاعل علموا ويعملون واحداً كما هو الظاهر ، فإن قدر مختلفاً كان يجعل ضمير علموا للملكين أو الشياطين وضمير شروا وما بعده لليهود فلا إشكال وبما تقرر فى هذه الآية علم أصل السحر ومنشؤه وحقيقته وأنواعه وضرره وقبحه وما يترتب عليه من الوعيد الشديد فلا ينتحله إلا كل شيطان مريد أو جبار عنيد . (١) .

ذم السنة النبوية للسحر :

جاء فى السنة أحاديث كثيرة فى ذمه أيضاً .

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات » قالوا : يارسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » أ . هـ .

وأخرج الطبرانى أن رجلا قال يارسول الله وكم الكبائر قال : تسع أعظمهن الإشراك بالله ، وقتل المؤمن بغير حق ، والفرار من

---

(١) الزواجر : (٥٠٩) .

الزحف ، وقذف المحصنة ، والسحر ، وأكل مال اليتيم وأكل الربـــا » . الحديث .

والنسائى بسند عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه ولم يسمع منه عند الجمهور من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق بشيء ، وكل إليه أى من يعلق على نفسه الحروز والعوذ يوكل إليها » أ . هـ .

وأحمد عن على بن زيد عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه واختلف الحسن عن عثمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كان لداود بنى الله ساعة يوقظ فيها أهله يقول ياآل داود قوموا فصلوا فإن هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء إلا الساحر أو عاشر » أ . هـ .

وأخرج الطبرانى فى الكبير والأوسط بسند فيه مختلف فيه ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء من مات لا يشرك بالله شيئاً ولم يكن ساحراً يتبع السحرة ، لم يحقد على أخيه » أ . هـ .

وابن حبان فى صحيحه « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم » أ . هـ .

وأحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصحيحه « ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر » الحديث .

الكهانة والعرافة والطيرة والطرق والتنجيم :

قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (١) .

أى لا تقل فى شىء من الأشياء ما ليس لك به علم فإن حواسك مسئولة عن ذلك ، وقال تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول (٢) .

أى عالم الغيب هو الله وحده فلا يطلع عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضاه للرسالة فإنه مطلعه على ما يشاء من غيبه ، وقيل هو منقطع أى لكن من ارتضاه للرسالة ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ، والصحيح هو الأول ، لأن الله تعالى ، اطلع أنبياءه بل وراثهم على مغيبات كثيرة لكنها جزئيات قليلة بالنسبة إلى علمه تعالى فهو المنفرد بعلم المغيبات على الإطلاق كليها وجزئيها دون غيره .

وأخرج البزار بإسناد جيد عن عمران ابن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من تطير له أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » أ . هـ .

ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى . . الخ » باسناد جيد .

(١) سورة الإسراء ، الآية . ٣٦ .

(٢) سورة الجن ، الآية ٢٦ ، ٢٧ .

ورواه البزار بإسناد جيد قوى « ومن أتى كاهناً فسأله بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج الطبرانى « من أتى كاهناً فصدقه بما تقول فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » أ . هـ .

وأخرج الطبرانى « من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين لية فإن صدقه بما قال فقد كفر » » . أ . هـ

وأخرج الطبرانى بإسنادين أحدهما ثقات « لن ينال الدرجات العلا من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطيراً » .

وأخرج مسلم « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » .

وأخرج الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من أتى عرافاً أو كاهناً فصدق بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » .

واخرج الطبرانى بسند رواته ثقات « ومن أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهنا يؤمن بما يقول : فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » أ . هـ .

* * *

وقال ابن حجر الهيثمى تعقيباً :

عد هذه المذكورات هو وإن لم أره ،كذلك صريح هذه الأحاديث فى أكثرها وقياساً فى البقية وهو ظاهر لأن الملحظ فى الكل واحـــد .

والكاهن هو الذى يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك .

وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك فقال : هى تعاطى الأخبار عن المغيبات فى مستقبل الزمان وإدعاء علم الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك .

والعراف : بفتح المهملة وتشديد الراء قيل الكاهن . ولكن يرد الحديث « عرافاً » أو « كاهناً » .

قال البغوى : « هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذى سرقه ومعرفة مكان الضالة ونحو ذلك منهم من يسمى المنجم كاهناً » (١)

---

(١) الزواجر (٥١٢) بتصرف .

الباب الرابع

أحكام السحر

- حكم الساحر .
- أقوال العلماء فيه .
- توبة الساحر .
- حكم من أتى ساحراً .

أحكام السحر

* اختلف العلماء فى الساحر هل يكفر ؟

والمعلوم أنه لا نزاع فى كفر من اعتقد أن الكواكب مؤثرة لهذا العالم أو أن الإنسان يصل بالتصفية إلى أن تصير نفسه مؤثرة فى إيجاب جسم أو حياة أو تغيير شكل ،

أما بقية أنواع السحر . . . (والتى ذكرناها) فقال جماعة إنها كفر لأن اليهود لما أضافوا السحر لسليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم قال تعالى : تنزيهاً له عنه « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فظاهر هذا إنما كفروا بتعليمهم السحر لأنه ترتيب الحكم على الوصف المناسب يشعر بعليته ,وتعليم ما لا يكون كفراً لا يوجب الكفر وهذا يقتضى أن السحر على الاطلاق كفر وكذا يقتضى ذلك قوله تعالى « على الملكين وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر »

وعن أبى حنيفة أن الساحر يقتل مطلقاً إذا علم أنه ساحر بإقراره أن بينة تشهد عليه بأنه ساحر ويصفونه بصفة تعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله أترك السحر وأتوب عنه فإن أقر بأنى كنت أسحر مدة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل .

وسئل أبو حنيفة لم لم يكن الساحر بمنزلة المرتد حتى تقبل

توبته فقال لانه جمع من كفره السعي فى الأرض بالفساد ومن هو كذلك يقتل مطلقاً . . ورد ما قاله بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقتل اليهودى الذى سحره فالمؤمن مثله لقوله صلى الله عليه وسلم لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

واحتج أبو حنيفة بما روى أن جارية لحفصة أم المؤمنين رضى الله عنها سحرتها فأخذوها فاعترفت بذلك فأمرت عبد الرحمن ابن زيد فقتلها فبلغ ذلك أمير المؤمنين عثمان فانكره فجاءه ابن عمر فأخبره بأمرها وكأن عثمان إنما أنكر ذلك لأنها قتلتها بغير إذنه .

وبما روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : قال اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلوا ثلاث سواحر وأجاب أصحابنا عن ذلك بأن هذين على تقرير ثبوتهما يحتمل أن القتل فيهما بكفر الساحر لوجود أحد النوعين الأولين (وهما عباد الكواكب ، وسحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية) أ . هـ . (١)

* * *

خلاصة . . وتعقيب :

ومما لا شك فيه أن أئمتنا الفضلاء لم يطلع — أكثرهم — على حقيقة السحر لعدم ظهوره إلا فى عصورنا المتأخرة بعد تقدم الحياة وإنشاء السجلات المدنية ومعرفة السحرة ببطاقاتهم وغيرها . . وعقد المحاكمات للسحرة . . فنجم عن اعترافاتهم التى أدت إلى معرفتنا حقيقة السحر ، والتى أوردناها فى هذا الكتاب .

---

(١) بتصرف الزواجر (٥٠٠)

فما رأى الإسلام فى إنسان سب الدين والخالق ؟ وباع نفسه للشيطان بعقد أبرمه معه ؟

ما رأى الإسلام فى إنسان لا يذكر الله مرة ، والله لا يقيم له وزناً ، ولا ينفذ له أمراً ؟

بلا أدنى شك ، وبكل تأكيد ، ومن جميع الجوانب يمكننا أن نقول فى ظل الاعترافات الجديدة للسحرة أمام المحاكم وحكاياتهم وتفاصيل جرائمهم أن الساحر كافر يقتل إن لم يستتب . والله أعلم .

* * *

توبة الساحر :

روى أن أمرأة أتت عائشة رضى الله عنها فقالت : إنى ساحرة هلى لى من توبة قالت : وما سحرك فقالت : سرت إلى الموضع الذى فيه هاروت وماروت أطلب علم السحر ، فقال يا أمة الله لا تختارى عذاب الآخرة بأمر الدنيا ، فأبيت فقالا لى اذهبي فبولى على ذلك الرماد فذهبت لأبول عليه ففكرت فى نفسى فقلت : لا فعلت وجئت إليهما فقلت: قد فعلت فقالا لى : ما رأيت لما فعلت فقلت : ما رأيت شيئاً فقالا لى اذهبي فاتقى الله ولم تفعلى فأبيت فقالا لى : اذهبي فافعلى : فذهبت وفعلت : فرأيت كأن فارساً مقنعاً بالحديد خرج من فرجى فصعد إلى السماء فجئتهما فأخبرتهما فقالا لى : ذاك إيمانك قد خرج منك قد أحسنت السحر ، قلت وما هو قالا لا ترين شيئاً فتصورينه فى وهمك إلا كان فتصورت فى نفسى حباً من حنطة فإذا أنا بحب فلقت انزرع

فانزرع فخرج ساعته سنبلا فقلت : انطحن فانطحن من ساعته والخبز وأنا لا أريد شيئاً أصور فى نفسى إلا حصل فقالت عائشة ليس لك توبة . أ . هـ (١) .

* * *

من الذى يمنع عبداً عن مولاه ، ومن الذى يستطيع إغلاق باب الرحمة فى وجه البشر فباب التوبة مفتوح لكل كافر ، لكل زنديق ، لكل زان ، لكل قاتل ، لكل ساحر ، لكل البشر . .

ولن يستطيع أحد من البشر أن يحجب بين العبد وربه ما دام جاء معترفاً ومقراً بجرمه . . . وهو سبحانه وتعالى التواب الرحيم ذو الفضـــل العمـــيم .

هل يمكن للساحر التخلى عن سحره وفسخ العقد مع الشيطان :

الحـــق أنه يمكن ذلك ، لأن الشيطان خلق ضعيفاً وأنه لا يستطيع التمكن على أولى الطباع المستقيمة خاصة لو كان مسلماً مخلصاً لأنه ليس له على عباد الله من سلطان .

ولقد حدث لواحد من الذين ثابوا إلى رشدهم ، وتغلب فيهم عامل الخير على الشر ، وصمموا على التخلص من عبودية الشيطان وقطع كل صلة لهم به خصوصاً وأنهم رأوا ولمسوا فى المدة القصيرة التى مكثوا فيها تحت سلطانه وفى خدمته كثرة المساوئ

(١) أوردها ابن حجر الهيثمى فى الزواجر ولم أقف عليها فى الصحاح. والظاهر أنها مكذوبة . ولا توافق المنطق المستقيم .

والأضرار التى لحقتهم . . وأصابت غيرهم من الأبرياء فعقدوا النية على النجاة من هذا الوضع المشين وهذه الحياة التعسة مهما كانت النتائج . .

ويحدثنا التاريخ على (جيلز) البرتغالى النبيل الذى باع روحه ونفسه للشيطان فى سبيل العز والجاه وزيادة المال والانغماس فى الإباحية والملذات المحرمة . . وحرر مع إبليس الميثاق المطلوب واستمر فى مزاولة السحر وعمل طقوسه وحضور حفلاته سبع سنوات حصل خلالها على كل ما أراد إلا حب فتاة قروية بريئة جميلة كانت تعمل ضمن أتباعه فهذه الفتاة الجاهلة الساذجة لم تنفع فيها أعماله السحرية ولم تخضع لتعاويذه وطلاسمه حتى أن الشك بدأ يتسرب إلى نفسه من قدرة الشيطان على الحصول على أى شىء وكل شىء يطلبه الساحر وكان كلما تحدث مع (قرينه) فى أمر هذه الفتاة ورغبته فى الحصول عليها راوغه القرين ووعده مواعيد باطلة . . ولذا صمم النبيل المذكور على اغتصاب هذه الفتاة بأى شكل كان « شيطان غير شيطان لا يهم » . وقبل هذا الميعاد بليلتين رأى هذا النبيل والدته فى منامه تحذره من سوء ما سيقدم عليه وأظهرته على شفا هوة عميقة معروفة له واقفاً على حافتها ، ومن ورائه الشيطان يضحك ويهم بدفعه إلى هذه الهوة الساحقة . . فهب من نومه مذعوراً منزعجاً وقطع كل صلة بينه وبين الشيطان وحرق ملابسه وهدم معبده وهشم أدواته ، وزهد فى العالم وأمواله وتنازل عنها للفقراء ، وأخذ بكثير من الدعاء

والاستغفار وبينما هو فى خلوته يتعبد إذ ظهر له فجأة مخلوق بشع المنظر تظهر على وجهه علامات الغضب والسخط وألقى بصورة العقد فى وجه (جيلز) قائلا بصوت مخيف « إليك عقدك فقد أمرت برده إليك » واختفت هذه الروح الشريرة فجأة ، واستمر جيلز على حاله ولم يصب بسوء إلى أن مات بقريته « سانترين » وما زال البرتغاليون يحتفلون بعيده كل عام .

لو عقل الناس لعلموا أن الشيطان لن يستطيع أن يصيبهم بسوء ، وأنهم عليهم أن يدحضوه ويولوه الأدبار . . ويحدث ذلك ما التزموا بكتاب الله وسنة رسوله فلن يكون هناك من تقف أمامهم . . بل ستسبح الدنيا معهم الطير والوحوش والشجر والجبال. والكل يسبح مع المؤمنين بحمد رب العالمين . . ألا ترى أن الجميع جنوده سبحانه . .

الباب الخامس

علاج الإسلام للسحر.. وكيف ننفيه ؟

* علاج الإسلام للسحر .
* اليهودية التى سحرت الرسول .
* إبطال عمل الساحر .
* علاج الصرع .

علاج الإسلام للسحر.. وكيف نتقيه؟

عـــلاج الإســـلام للسحـــر . . وكيف نتقيـــه ؟

لقد استطاع الإسلام بمنهجه أن رقى بالإنسان عن مراتب الحيوانية . . أو الإنسانية المجردة إلى مراتب الملائكة التى يصفو عندها قلب المسلم فلا يقع فى الموقعات . . فربط الإسلام المسلم برباط وثيق يدفعه من حين لآخر . . وجعل له من حياته من يعظه ويزجره دائماً كلما اقترب من فاحشة أو أقبل على معصية .

ولقد عالج الإسلام دزافع السحر معالجة موضوعية . . فبين مكانة المال عند الإنسان وأنه متاع زائل ، والآخرة خير وأتقى . . وجعل الأفضلية بالتقوى والعمل الصالح وليست بالمظاهر أو المناصب أو لأصحاب الجاه والسلطان . . ورغب فى زينة الآخرة وحلاوتها ورهب فى زينة الدنيا جملة . . .

ثم ذم اتيان العراوين والكهان – كما سبق – وذم السحر والساحر وعده من أكبر الكبائـــر .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اجتنبوا السبع الموبقات (أى المهلكات) قالوا يارسول الله ،

وما هن . قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والمولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات - المؤمنات الغافلات » أ . هـ (أخرجه الشيخان عن أبى هريرة) .

وقولــه :

« وثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر . . » الحديث تقدم . (وأخرجه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى صححه) .

* * *

هذا . . وقد وضع الإسلام علاجاً للمسحور . . . ممثلا فى علاج رسول الله صلى الله عليه وسلم للسحر الذى سحرته به اليهودية . . وأنزل الآيات الشافيات بإذنه تعالى . . وكون العقيدة عند المسلم الذى لا يذل أمام الهوى ولا يخضع لبريق الحياة . .

كما وضع علاجاً للصرع . وبينه من خلال علاج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى العاص . . وفيما يلى بيان ذلك :

* * *

كيف نتقيـــه ؟

اليهودية التى سحرت الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال ابن القيم فى الطب النبـــوى :

« قد أنكر هذا طائفة من الناس ، وقالوا : لا يجوز هذا عليه ، وظنوه نقصاً وعيباً ، وليس الأمر كما زعموا بل هو من جنس ما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم : من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما (١).

وقد ثبت فى الصيحين ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : « سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه كان ليخيل إليه أنه يأتى نساءه ولم يأتهن » . (٢) وذلك أشد ما يكون من السحر .

قال القاضى عياض : « والسحر مرض من الأمراض ؟ وعارض من العلل يجوز عليه صلى الله عليه وسلم كأنواع الأمراض ، مما لا ينكر ولا يقدح فى نبويته .

وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يفعله ؛ فليس فى هذا ما يدخل عليه داخله فى شىء من صدقه ، لقيام الدليل والإجماع ، على عصمته من هذا .

---

(١) وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجمه على كاهله ، من أجل الذى أكل من الشاة (المسمومة) .

(٢) الحديث فى صحيح البخارى بشرح الفتح (١٠ – ٢٢١) .

وإنما هذا فيما يجوز طرده (١) عليه فى أمر دنياه التى لم يبعث لسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد : أنه يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ، ثم ينجلى عنه كما كان .

والمقصود ذكر هديه فى علاج هذا المرض . وقد روى عنه نوعـــان :

أحدهما : وهو أبلغهما ـ استخراجه وتبطيله : كما صح عنه صلى الله عليه وسلم : فى مشط ومشاطه ، وجف طلعه ذكر ، فلما استخرجه : ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال » (٢) . فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ .

النوع الثانى : الاستفراغ فى المحل الذى يصل إليه آذى السحر ، فإن للسحر تأثيراً فى الطبيعة وهيجان أخلاطها ، وتشويش مزاجها ، فإذا ظهر إثره فى عضو ، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جداً .

وقد ذكر أبو عبيد فى كتاب « غريب الحديث » له ـ بإسناده

---

(١) قال محقق نسخة التراث ـ فى الأصل : طرده وهو تصحيف .

(٢) المشاطة : الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط ، والجف : وعاء طلع النخل وهو الغشاء الذى يكون عليه ، ويطلق على الذكر والأنثى فلهذا قيده فى الحديث « طلعة ذكر » والطلع : نور النخلة والواحدة طلعة .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . «أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم على رأسه بقرن حين طب » (١) قال أبو عبيد « معنى (طب) أى : سحر .

وقد أشكل هذا على من قل علمه ، وقال : ما للحجامة والسحر ؟ وما لرابطة بين هذا الداء وهذا الدواء ؟ ولو وجد هذا القائل أبقراط أو ابن سينا أو غيرهما قد نص على هذا العلاج — لتلقاه بالقبول والتسليم ، وقال : قد نص عايه من لا نشك فى معرفته وفضله .

فاعلم أن مادة السحر الذى أصيب به النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إلى رأسه : إلى إحدى قواه التى فيه بحيث كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولم يفعله . وهذا تصرف من الساحر فى الطبيعة والمادة الدموية : بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه ، فغيرت مزاجه عن طبيعة الأصلية .

والسحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة ، وانفعال القوى الطبيعية منها ، وهو سحر التمريجات ، وهو أشد ما يكون من السحر ، ولا سيما فى الموضع الذى انتهى إليه السحر ، واستعمال الحجامة على ذلك المكان — الذى تضررت أفعاله بالسحر — من أنفع المعالجة : إذا استعملت على القانون الذى ينبغى ، قال أبقراط : « الأشياء

---

(١) قرن : اسم موضع ، وقيل هو قرن ثور جعل كالمحجنة ، وقرن البقرة ، وشاة قرناء وقرنا الرأس : فودآه أى ; ناحيتاه .

التى ينبغى أن تستفرغ يجب أن تستفرغ من المواضع التى هى إليها أميل ، بالأشياء التى تصلح لاستفراغها » . .

وقالت طائفة من الناس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب بهذا الداء ، وكان يخيل إليه إنه فعل الشيء ولم يفعله — : ظن أن ذلك عن مادة دموية أو غيرها ، مالت إلى وجهه الدماغ ، وغلبت على البطن المقدم منه ، فأزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية . وكان استعمال الحجامة — إذ ذاك — مع من أبلغ الأدوية ، وأنفع المعالجة ، فاحتجم ، وكان ذلك قبل أن يوحى إليه : أن ذلك من السحر ، فلما جاءه الوحى من الله تعالى ، وأخبره أنه قد سحر — : عدل إلى العلاج الحقيقى ، وهو استخراج السحر وإبطاله ، فسأل الله سبحانه : فدله على مكانه ، فاستخرجه . . فقام كأنما نشط من عقال . وكان غاية هذا السحر فيه إنما هو فى جسده وظاهر جوارحه ، لا على عقله وقلبه ، ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه : من إتيان النساء ، بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له ، ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض . . والله أعلم .

* * *

ومن أنفع علاجات السحر : الأدوية الإلهية ، بل هو أدويته النافعة بالذات ، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية ، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها : من الأذكار والآيات والدعوات التى تبطل فعلها وتأثيرها ، وكلما كانت أقوى وأشد : كانت أبلغ فى النشرة ، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد

منهما عدته وسلاحه ، فأيهما غلب الآخر . قهره وكان الحكم له . فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله ، مغموراً بذكره – وله من التوجهات والدعوات ، والأذكار والتعوذات ، ورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه – : كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السحر له ، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه .

وعنده السحرة : أن سحرهم إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة ، والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسفليات ؟ ولهذا غالب ما يؤثر : فى النساء والصبيان ، والجهال وأهل البوادى ، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية ، والدعوات ، والتعوذات النبوية .

وبالجملة : فسلطان تأثيره فى القلوب الضيفة المنفعلة التى يكون ميلها إلى السفليات .

قالوا : والمسحور هو الذى يعين على نفسه ، فإنا نجد قلبه متعلقاً بشىء كثيراً لالتفات إليه ، فيتسلط على قلبه بما فيه : من الميل والالتفات . والارواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها ؛ عيلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة ، وبفراغها من القوة الإلهية ، وعدم أخذها للعدة التى تحاربها بها ، فتجدها فارغة لا عدة معها ، وفيها ميل إلى ما يناسبها فتسلط عليها ، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره . والله أعلم (١)

---

(١) الطب النبوى (١٩٧١) ط التراث .

فعليك أخى إذا أردت اتقاء السحر . . أن تجلس بعد صلاة العشاء يوماً تكون قد صليتها فى جماعة . . ثم تصلى السنة والوتر . . وتقرأ شيئاً من القرآن ، ثم تجلس للذكر والدعاء . . وتقرأ المعوذتين (قل هو الله أحد) ، و(وآية الكرسى) . . . وتكثر من الدعاء والاستغاثة . . يكشف الله ما بك ويبطل السحر إن شاء الله » .

وقد وضع بعض العلماء طرق لإبطال السحر . . منهم الصبيرى المقرى فى كتابه « الرحمة فى الطب والحكمة » ولكنها لا تخلوا من الأدوية الإلهية كما ذكر ابن القيم فى الطب النبوى . ومنها قوله :

(إبطال السحر : قال موسى . . . إلى « المفسدين » (١) ؟ « وارادوا به كيد فجعلناهم الأخسرين »(٢) « وقدمنا » . إلى « منثوراً » (٣) « وخسر هنا لك المبطلون »(٤) ، « أعمالهم كسراب بقيعة إلى شيئاً » (٥) « فوقــــع الحق . . صاغرين » (٦) ولا حول . . .)(٧)

---

(١) سورة يونس : ٧٧ — ٨١ .
(٢) سورة الأنبياء : ٧٠ .
(٣) سورة الفرقان : ٢٣ .
(٤) سورة غافر : ٧٨ .
(٥) سورة النور : ٣٩ .
(٦) سورة الأعراف : ١١٧ — ١١٩ .
(٧) الرحمة فى الطب والحكمة (١٣٤) للصبيرى المقرى وهذا الكتاب نسب للسيوطى خطأ الحلبى .

وقوله : (إبطال السحر : قال العنهاجي رحمه الله : من كتب في ورقة صفراء خمس لا مات وخاد ، وأضاف إليهم « وقل جاء الحق . . . إلى زهوقاً » (١) ونجمه ليلة واحدة وعلقه على من به سحر يبطل سحره بإذن الله » (٢) أ . هـ .

ولا يخفى عليك أنه كلما كان الإنسان قريباً من الله كان عجز الساحر في الحاق الضرر به ، فالنفس القوية المؤمنة قاهرة للشيطان ولأعماله . . ولذا فيمكننا أن نقول أن الوقاية من السحر تكون بطاعة الله وخشيته والالتزام على نهج الإسلام . . والبعد عن معصيته .

* * *

(١) سورة الإسراء : ٨١ .
(٢) الرحمة في الطب والحكمة (١٣٥) .

علاج الصرع

سبق أن قلنا أن القرين حينما تواتيه فرصة الهرب فإنه يهرب من الساحر ويدخل جسد طفل أو رجل أو امرأة .

والقرين روح خبيثة . كما تقدم . . . وقد علم ذلك عنه من خلال اعترافات السحرة عند محاكمتهم . . ولكن علماء الإسلام دركوا بعض المعرفة عن الصرع ويوضحها ما جاء فى السنة من علاج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحالات الصرع .

وفى الحديث ما أخرجناه فى الصحيحين من حديث عطاء ابن أبى رباح قال : : قال ابن عباس : « ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إنى أصرع وأنى أتكشف ، فادع الله لى . فقال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعاقبك — فقالت : أصبر . قالت : فإنى أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها » أ . هـ .

« وعلاج هذا يكون بأمرين :«أمر من جهة المصروع ، وأمر من جهة المعالج فالذى من جهة المصروع ، يكون بقوة نفسه ، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها ، والتعوذ الصحيح الذى قد تواطأ عليه القلب واللسان فإن هذا نوع محاربه والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدو بالسلاح إلا بأمرين : أن يكون السلاح

صحيحاً فى نفسه جيداً ، وأن يكون الساعد قوياً ، فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً : يكون القلب خراباً من التوحد والتوكل والتقوى والتوجه ، ولا سلاح له ؟ !

والثانى من جهة المعالج : بأن يكون فيه هذا الأمران أيضاً ، حتى ايه من المعالجين من يكتفى له بقوله : أخرج منه ، أو يقول باسم الله ، أو يقول : لا حول ولا قوه إلا بالله .

والنبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : « اخرج عدو الله ، أنا رسول الله » أ . هـ (١) .

وشاهدت شيخنا (٢) : يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التى فيه ، ويقول : قال لك الشيخ : أخرجى فإن هذا لا يحل لك ،

---

(١) (الحديث رواه ابن ماجه والحاكم ، وقال فى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد . ولفظ ابن ماجه « عن عثمان بن أبى العاصى قال : لما استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف جعل يعرض لى شىء فى صلاتى حتى ما أدرى ما أصلى ، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابن أبى العاص ؟ قلت نعم : يارسول الله . قال : ماجاء بك ؟ قلت : يارسول الله عرض لى شىء فى صلواتى ؛ حتى ما أدرى ما أصلى . قال : ذاك الشيطان . أدنه فدنوت منه ، فجلست على صدور قدمى . قال : فضرب صدرى بيده ، وتفل فى فمى وقال : اخرج عدو الله » ففعل ذلك ثلاث مرات . ثم قال : الحق بعملك » قال ، فقال عثمان : فلعمرى . ما أحسبه خالطنى بعد » ا . هـ محقق نسخة التراث د. عبد المعطى قلعجى ، هامش ١٣٧) .

(٢) هو شيخ الإسلام ابن تيمية .

فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه ، وربما كانت الروح ماردة ، فيخرجها بالضرب ، فيفيق المصروع ، ولا يحس بألم ، وقد شاهدنا — نحن وغيرنا — منه ذلك مراراً .

وكان كثيراً ما يقرأ فى أذن المصروع « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، وإنكم إلينا لا ترجعون » (١) .

وحدثنى : أنه قرأها مرة فى أذن المصروع ، فقالت الروح : نعم ، ومد بها صوته . قال : فأخذت له عصا ، وضربته بها فى فى عروق عنقه ، حتى كلت يداى من الضرب ، ولم يشك الحاضرون : بأنه يموت لذلك الضرب ، ففى أثناء الضرب ، قالت : أنا أحبه ، فقلت لها هو لا يحبك . قالت : أنا أريد أن أحج به ، فقلت لها : هو لا يريد أن يحج معك ، فقالت : أنا أدعه كرامة لك ، (قال) قلت : لا ، ولكن : طاعة لله ولرسوله ، قالت : فأنا أخرج منه .

قال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالا ، وقال : ما جاء بى إلى حضرة الشيخ ، قالوا له : وهذا الضرب كله ؟ فقال : وعلى أى شىء يضربنى الشيخ ، ولم أذنب ؟ ولم يشعر بأنه وقع وقع به الضرب البتة .

وكان يعالج بآية الكرسى ، وكان يأمره بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها ، وبقراءة المعوذتين .

---

(١) ١١٥ : المؤمنون .

وبالجملة : فهذا نوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم ، والعقل والمعرفة . وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على اهله ، يكون : من جهلة قلة ونهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ ، والتحصينات النبوية الإيمانية ، فتلقى الروح الخبيثة ، أعزل لا سلاح معه ، وربما كان عرياناً : فيؤثر فيه هذا » (١) .

* * *

وكان العلامة ابن القيم قد قسم الصرع إلى نوعين . .

النوع الأول : صراع الأرواح الخبيثة وهو موضوعنا .

أما النوع الثانى : فهو صرع من الأخلاط الرديئة . . وهو الذى يتكلم فيه الأطباء . فى سببه وعلاجه . وقد يكون لأسباب منها : ريح غليظ يحتبس فى منافذ الروح ، أو بخار ردئ يرتفع إليه عن بعض الأعضاء أو كيفية لاذعه .

وبالجملة . . فهو اضطراب فى الوظائف المخية ، وعادة يصاحب باضطراب الإحساس وينتج عن ذلك كله أن ينقبض الدماغ لدفع المؤذى ، فيتبعه تشنج فى جميع الأعضاء ، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصباً ، بل يسقط ، ويظهر فى فيه الزبد غالباً والله أعلم .

---

(١) الطب النبوى (١٣٩) ط التراث .

من الأدويــة الإلهية

من هذه الأدوية الألهية التي يجب أن يتداوى بها المصاب بالسحر قطوف رأينا أن نقف عليها إتماماً للفائدة والمنفعة بها إن شاء الله .

* * *

أدويــة عامــة :

هذه الأدوية هي تحصين الإنسان لترقى سريرته ويعتلي قدره ، فلا يستطيع الشيطان التأثير عليه فالتأثير .كما ذكرنا حتى في السحر يتفاوت من إنسان لآخر حسب قوة إيمانه ودرجته عند مولاه . . وإذا أكثر الإنسان من ذكر الله ، وإذا اتبع منهجاً في حياته . . ارتقى بنفسه ونأى بها عن الشيطان وأهله ومنها :

في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائه مره لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » .

وفي صحيحه أيضاً عن ابن مسعود قال : « كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أمسى قال : أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من سر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب

أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب فى النار ، وعذاب فى القبر . وإذا أصبح قال أيضاً : أصبحنا وأصبح الملك لله »

وفى السنن عن عبد الله بن حبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : قلت يارسول الله ما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد ، والمعوذتين ، حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات ، تكفيك من كل شىء » قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى الترمذى أيضاً عن أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه : يقول إذا أصبح أحدكم فليقل : اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا وبك نحيا ، وبك نموت وإليك النشور ، وإذا أمسى فليقل : اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا ربك نحيا ، وبك نموت وإليك المصير » . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى صحيح البخارى عن شداد بن أوس وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » أ . هـ .

وفى الترمذى عن أبى هريرة « أن أبا بكر الصديق قال لرسول

الله صلى الله عليه وسلم : مرنى بشىء أقوله إذا اصبحت وإذا أمسيت ، قال : قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض ، رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا » أ . هـ قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفى الترمذى أيضاً عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع أسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم — ثلاث مرات — فلا يضرها شىء » قال الترمذى : حديث صحيح .

وفى الترمذى أيضاً عن ثوبان وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال : « من قال حين يمسى وإذا أصبح : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً » كان حقاً على الله أن يرضيه » قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

النـــوم :

فى الصحيحين عن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام قال : باسمك اللهم أموت وأحيا ، وإذا استيقظ من منامه قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » .

وفى الصحيحين أيضاً عن عائشة (أن النبى صلى الله عليه وسلم :

كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » .

الأرق والفزع فى النوم والفكر :

فى الترمذى عن عبد الله بن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يعلمهم من الفزع كلمات : أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » أ.هـ قال الترمذى : حسن غريب وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب إلى أبى داود والنسائى والحاكم .

فى الرؤيا يكرهها :

فى صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان ثا ثاً وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » ا . هـ .

فى الخروج من البيت :

فى السنن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال يعنى إذا خرج من بيته — : بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولاقوة إلا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ،

وتنحى عنه الشيطان ، فيقول الشيطان للآخر : كيف لك برجل قد هوى وكفى ووقى ؟ . » ا . هـ .

دخـــول البيت :

فى صحيح مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لامبيت لكم ولاعشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء » . . ا . هـ

دخـــول المسجد والخروج منه :

فى صحيح مسلم أيضاً عن أبى حميد أو أبى اسيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أحدكم إلى مسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل : اللهم إنى أسألك من فضلك » . ا . هـ .

الأذان :

فى صحيح البخارى عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة » ا . هـ .

أذكـــار الاستفتاح :

فى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى استفتاحه : « اللهم باعد بيني وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد » ا . هـ .

وفى سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال « الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا (ثلاثاً) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، من نفخه ونفثه وهمزه » ا . هـ قال : نفثه الشعر ، ونفخة الكبر . وهمزه الموتة (١) .

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قام إلى الصلاه من جوف الليل : اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ، ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام (٢) السماوات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك

---

(١) « هى واو ساكنه غير مهموزة : الجنون . قال الصغانى فى العباب. السحر نفثاً لأنه كالشيء ينفث من الفم كالرقية ، وسمى الكبر نفخاً لما يوسوس إليه الشيطان فى نفسه ليعظمها عنده ويحقر الناس فى عينه حتى يدخله الزهو ، وهمزات الشيطان خطراتها التى تخطرها بقلب الإنسان » ا هـ. محمد منير الدمشقى فى تعليقه على الوابل الصيب (٣٩) ط مكتبة القاهرة .

الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، أنت الهى لاإله إلا أنت ولاحول ولاقوة إلا بك » أ . ه .

الكــــرب والغم والحزن والهـــم :

فى الصحيحين عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لاإله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض العرش الكريم » .

وفى الترمذى عن أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا حز به أمر قال: « ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث » أ . ه .

وفيه أيضاً عن أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم ، وإذا اجتهد فى الدعاء قال : ياحى ياقيوم » .

وفى سنن أبى داود عن أبى بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دعوات المكروب ، اللهم رحمتك أرجو ،

فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلا أنت » ا . هـ .

وفى السنن أيضاً عن أسماءبنت عميس قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب – أو فى الكرب ؟ الله الله ربى لا أشرك به شيئاً » . وفى رواية : أنها تقال سبع مرات ا . هـ .

وفى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوة ذى النون إذا دعا وهو فى بطن الحوت « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا أستجيب له) ا . هـ .

وفى روايه له « إنى لأعلم كلمة لايقر لها مكروب إلا فرج الله عنه ، كلمة أخى يونس عليه السلام » ا . هـ .

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم « ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال : اللهم إنى أعبدك ابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً » ا . هـ .

لقـــاء العدو ومن يخاف سلساناً :

فى سنن أبى داود والنسائى عن أبى موسى : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوماً قال : اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم » .

ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول عند لقاء العدو : اللهم أنت عضدى وأنت ناصرى وبك أقاتل » .

وعنه صلى الله عليه وسلم « أنه كان فى غزوة فقال : يامالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك أستعين » قال أنس : « فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها » ا . ه .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عايه وسلم : « إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل : لاإله إلا الله الحكيم الكريم ، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، لاإله إلا أنت عز جارك ، وجل تناؤك » ا . ه .

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين فال لم الناس « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ») ا . ه .

الذكر الذى يوقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما :

فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما

قال . كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول : إن أباكما ابراهيم كان يعوذ بها اسماعيل وإسحاق أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ا . هـ .

وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رقى لدبغاً بفاتحة الكتاب ، فجعل ينقل عليه ويقرأ « الحمد لله رب العالمين » فكأنما نشط من فانطلق يمشى وسابه قلبه » ا . هـ(١) .

وفى الصحيحين أيضاً عنها رضى الله عنها : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله : يمسح بيده اليمنى ويقول : اللهم رب الناس ، اذهب البأس واشف وأنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاءك ، شفاء لا يغادر سقماً » ا . هـ .

الدخـــول بالزوجة :

فى الصحيحين عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا

(١) وراه أصحاب السنن الأربع ، وفى رواية لترمذى فقرأت عليه « الحمد لله رب العالمين » سبع مرات ، وفى رواية له وللنسائى وابن ماجه أن أبا سعيد هو الذى رفاه . . واللديغ الذى لدغته الحيه أو العقرب وأصابته بسمها ، والقلبة بفتح القاف واللام والباء : الوجع قال الفراء : معناه ليست به علة يخشى منها عليه ، وهو مأخوذ من قولهم : قلب الرجل إذا أصابه وجع فى قلبه ليس يكاد يفلت منه .

الشيطان وجنب الشيطان ، رزقتنا ، فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً » ا . هـ .

الفاتحـــة :

أخرج أحمد والبخارى والدارمى وأبو داود والنسائى والحاكم والبيهقى عن أبى سعيد بن المعلى قال : كنت أصلى فدعانى النبى صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت ثم أتيت فقال : ما منعك أن تأتينى فقلت : كنت أصلى فقال : ألم يقل الله « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » ثم قال : ألا أعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد وأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت : يارسول الله : إنك قلت ألا أعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال : الحمد لله رب العالمين ، وهى السبع المثلى والقرآن العظيم الذى أوتيته » ا . هـ .

آيـــة الكرسى :

أخرج النسائى والطبرانى بأسانيد أحدها : ومن قرأ آية دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» ا . هـ وزاد الطبرانى فى بعض طرقه « وقل هو الله أحد » .

وأخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه : « من أدبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسى حفظه الله تعالى إلى الصلاة الأخرى» ا . هـ .

وأخرج الطبرانى عن الحسن بن على رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم « من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» .

سورة الإخـــلاص :

أخرج مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن اللهجزأ القرآن » ا . هـ(١) .

سورة يس :

أخرج الطبرانى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له من ذنبه فاقرؤها عند موتاكم » وكذا عن معقل به يسار رضى الله عنه .

المعـــوذتان :

وأخرج الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى

(١) بتشديد الزاى المعجمة بمعنى قسمة ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزء من أجزاء القرآن وجه كونه يجوز أن يكون باعتبار الثواب يعنى أن الله تعالى يعطى قارىء هذه السورة ثواب قارىء ثلث القرآن من غير تضعيف أجر . . كذا ذكره التوربى وقيل : أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى . وقل هو الله أحد أحد هذه الثلاثة وهو صفات الله تعالى » كذا ذكره ابن مالك فى شرح المشارق ا . هـ .

صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » ا . هـ .

أخرج الترمذي والنسائي : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان حين نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما » ا . هـ .

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي : « أقرأ قل أعوذ برب الفلق فإنك لن تقرأ بسورة أحب إلى الله وأبلغ عنده منها فإن استطعت أن لاتفوتك فافعل .

لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله من قل أعوذ برب الفلق » ا . هـ .

خاتمة

فإن تقوى الله خير وقاية وعلاج . . وإن المؤمن فى خير على أى حال . . لأن يستمد قوته من الله القوى ، فلا يصاب بمكروه ، ولا يهزه الأحداث . . وهذا هو السحر وحقيقته كما بينه القرآن ، ووصفته السنة المحمدية . . ووضحت علاجه والوقاية منه . وأثبت ذلك حقيقة اعترافات السحرة فى عالمنا الحديث بعد ظهور السجلات المدنية ، والمحاكم الدولية والمحلية ، والحياة الحديثة التى حاكمت السحرة فأدلوا باعترافات أثبتت صحة حقيقة السحر كما بينه كتاب الله . . والسيرة النبوية العطراء . . وأن الساحر يبرم عقداً مع الشيطان . . ويبقى أن نبحث أعوان وطرقهم فى الغواية والاضلال إبليس فى كتابنا القادم (مملكة إبليس) .

أسأل الله رب العالمين أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وأن يحفظنا بفضله من الشيطان وعمله . . وأن يجنبنا السوء وأهله أنه قريب مجيب الدعاء . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إبراهيم محمد الجمل

الفهرس

رقم الإيداع ١٩٨٢/٥٨٣١
الترقيم الدولى X—٠٠—١٣٤٠—٩٧٧